

المنهج الشرعي في الرد على دعاوى الإلحاد الجديد
— دراسة تأصيلية نقدية للكتابات المعاصرة —

تأليف

د. سعد بن بجاد بن مصباح العتيبي
أستاذ مساعد— كلية المجتمع - جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فالإلحاد مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدعي الملحدون أن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق. والمخلوق في نفس الوقت^١ وليس الإلحاد ظاهرة حديثة، وليس هو فكراً جديداً انتشر مؤخراً، بل لقد اعتنق هذا الفكر بعض الأفراد والأمم الماضية، وقضية الإلحاد ورد ذكرها في القرآن، وبين الله - عزوجل - أحوال الملحدين الأولين من مثل قوله تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) [النمل: ١٤] وفي ظل المتغيرات المعاصرة ومنها الانفتاح الكبير بين الشعوب وتطور وسائل التواصل والتعبير والنشر أخذت النزعة الإلحادية أبعاداً أوسع ومنحى أكثر خطورة في الآونة الأخيرة؛ حتى اجتاحت المجتمعات الغربية موجة إلحادية جديدة اشتهرت في الدوائر الفكرية والثقافية بالإلحاد الجديد، ويعرف الإلحاد الجديد بأنه: حركة اجتماعية وفكرية لصالح الإلحاد والعلمانية يروج لها مجموعة من الملحدون المعاصرين الذين يدعون إلى وجهة نظر تفيد أنه لا ينبغي التسامح مع الدين بل ينبغي التصدي له وانتقاده التعرض له بحجج عقلانية^٢؛ وقد تميز الإلحاد الجديد بعدة سمات: الحماسة في الدعوة بعدما كان الإلحاد شأنًا ذاتياً، ومن مظاهر هذه الحماسة: تأليف لسيل من الكتب الإلحادية، وتصدها قوائم الكتب الأكثر مبيعاً، وامتدت هذه الحماسة إلى البرامج الفضائية والإذاعية وحتى برامج الأطفال طالتها هذه الموجة، وتجاوز ذلك إلى ظهور مؤسسات للملحدون ترعى هذه الدعوة، وتعمل الدعاية

١ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ٢/٨٠٣.

٢ ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبدالله العجيري: ١٧.

لها من خلال اللوحات الإعلانية في الطرقات والملابس والأدوات ومن أبرز هذه السمات عدائية الخطاب الإلحادي للدين، ووصفه للمقدسات بأبشع الصفات والنعوت؛ ويضاف إلى ذلك المغالاة في قبول العلوم التجريبية التطبيقية، حتى وصلت لدرجة الهوس والخرافة والدوغمائية وليست المجتمعات الإسلامية بمنأى هذه الموجة؛ فتسللت عبر صفحات الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي شبهات وفلسفات تؤدي إلى التشكيك في مسلمة الدين، وثوابت العقيدة، وصلت إلى التشكيك في وجود الله تعالى، وفي نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد وجدت والله الحمد جهود ودراسات وبحوث وبرامج إعلامية للقيام بهذا الواجب قام بها علماء ودعاة وباحثين ومراكز دراسات وبحوث، نسأل الله أن يبارك تلك الجهود وينفع بها الإسلام والمسلمين؛ ونظرا لخطورة وحساسية هذا الموضوع فإن من الواجب تقويم هذه الجهود والأعمال من خلال النظر في مدى الالتزام بالمنهج الشرعي في الرد على الشبهات وبيان الحق، والحذر من تسطيح الظاهرة الإلحادية والتهاون في التعامل معها من خلال الردود الضعيفة والناقصة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وقي بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين»^١، ومن هنا جاءت هذه الدراسة (المنهج الشرعي في الرد على دعاوى الإلحاد الجديد - دراسة تأصيلية نقدية للكتابات المعاصرة)



المبحث الأول أصول منهج أهل السنة والجماعة في الجدل والمناظرة والرد على الملحدين

المطلب الأول: مفاهيم (الجدل - المناظرة - الإلحاد) لغة واصطلاحاً

أولاً - مفهوم الجدل لغة واصطلاحاً:

الجدل لغة: الجدل في اللغة هو شدة الخصومة، وقد جدل - بالكسر - جدلاً أحكم الخصومة، ويقال: جادلته يجادله جدالاً ومجادلة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة. أي: خاصمه، ويطلق الجدل أيضاً على مراجعة الكلام بين اثنين ومقابلة الحجة بالحجة^(١).

الجدل اصطلاحاً: إن مصطلح الجدل عند أهل السنة والجماعة له مفهومان بحسب المراد منه؛ وعليه فقد قسموه إلى نوعين:

- جدل محمود: وهو هُوَ عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبيهة، ويقصد به تصحيح كلامه، أو هو المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سواء كان كلامه في نفسه فاسداً أو لا، وهذا هو الذي قال الله تعالى فيه: {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (٢) (٣).

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، (٤/ ١٦٥٣)، مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، (١/ ٤٣٣)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - يوسف محمد عبد الله، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، (٢/ ١٠٠٩).

(٢) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

(٣) ينظر: الكليات، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ص ٣٥٣)، (د. ت)، كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، (ص ٧٤).

- **جدل مذموم:** الجدل في تقرير الباطل، وطلب المال والجاه^(١)، وهذا هو الذي قال فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَا ضَيَّلَ قَوْمٌ بَعِيدَ هُبْدَى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ»^(٢).

ثانياً - مفهوم المناظرة لغة واصطلاحاً:

المناظرة لغة: المناظرة في اللغة: مفاعلة من الفعل ناظر يناظر، بمعنى المشاركة في النظر، والمناظرة: أن تناظر أحاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتياه^(٣).

المناظرة اصطلاحاً: المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق^(٤).

ثالثاً - مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحاً:

الإلحاد لغة: أصل الإلحاد في اللغة الميل عن الاستقامة، وسلوك طريق الاعوجاج، يقال: ألد الرجل. إذ مال عن طريقة الحق والإيمان، وألحد في دين الله أي: حاد عنه وعدل^(٥).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، (٨ / ٢٤٤) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، (١ / ٤٥٥).

(٢) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه، في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اجتناب البدع والجدل، (١ / ١٩)، رقم (٤٨)، والإمام الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة الزخرف، (٥ / ٢٣٢)، رقم (٣٢٥٣)، وقال الإمام الحاكم في المستدرک (٢ / ٤٨٦): "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، (٥ / ٢١٧)، تهذيب اللغة، الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، (١٤ / ٢٦٥).

(٤) ينظر: آداب البحث والمناظرة، الشنقيطي، تحقيق: سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد، (ص ١٣٩)، (د. ت)، الكليات، (ص ٨٤٩).

(٥) ينظر: الصحاح تاج اللغة وضحاح العربية، (٢ / ٤٣٥)، مقاييس اللغة، (٥ / ٢٣٦).

الإلحاد اصطلاحاً: المراد بالإلحاد الذي نحن بصدد دراسته: كل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق هذا الكون - سبحانه وتعالى، سواء أكان عند المتقدمين من الدهرية، أو عند من جاء بعدهم من الشيوعيين والماركسيين، بمعنى أن وصف الإلحاد يشمل كل مَنْ لم يؤمن بالله تعالى، ويزعم أن الكون وُجِدَ بذاته في الأزل^(١).

المطلب الثاني: مشروعية الجدل والمناظرة عند أهل السنة والجماعة

سبق أن بينا أن الجدل عند أهل السنة والجماعة ينقسم إلى قسمين: جدل محمود، وجدل مذموم، والجدل المحمود مما وصف الله به أنبياءه وأوليائه، وأمر به رسوله - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَيِّنَاتٍ هِيَ أَحْسَنُ} ^(٢)، وقال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بَيِّنَاتٍ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَأْ وَإِهْكُمُ وَاحِدٌ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} ^(٣)^(٤). وقد عين الإسلام الجدل المحمود بأنه هو الذي يكون الغرض منه إثبات الحق وإبطال الباطل، والرد على المعاندين وإلزامهم بالحجة، وذلك مأمور به إما وجوباً أو استحباباً بحسب الحال^(٥)، وهذا من باب تغيير المنكر باللسان الذي أمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ

(١) ينظر: جواب في الإيمان ونواقضه، عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار التدمرية، ط ١، ١٤٧٣هـ / ٢٠١٦هـ، (ص ٢٢)، مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، دار بن خزيمة، ط ١، (ص ٧)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤٢٠هـ، (٢ / ٨٠٣).

(٢) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

(٣) سورة العنكبوت: الآية: (٤٦).

(٤) ينظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ٣، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، (٤ / ٣٤٨)، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٦هـ، (١ / ٢٦).

(٥) ينظر: البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار، فوزان بن سابق بن فوزان، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، (ص ١٨٠)، (د. ط).

يَسْتَطِعُ فَيَسْتَطِعُ فَيَسْتَطِعُ فَيَسْتَطِعُ فَيَسْتَطِعُ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَيَسْتَطِعْ، وَذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١) ويكون ذلك الجدل المحمود من خلال إبداء المدارك وإظهار الحجج التي هي مستند الأقوال والأعمال، وهو من أساليب الدعوة إلى الله تعالى؛ فإنه ينبغي للداعية أن تستخدم الجدل عند الحاجة إليه، ويقصد بذلك إظهار الحق وإبطال الباطل بالأدلة العقلية والنقلية^(٢) هذا إضافة إلى أن الجدل والمناظرة إنما يقومان على النظر والاستدلال، وقد أرسل الله تعالى الأنبياء جميعهم لكي يأمرؤا الناس بالنظر والاستدلال، وقد حثت كثير من آيات الله تعالى على النظر في الكون والاستدلال بآياته ومخلوقاته على وجود الله تعالى، وذلك كما قال -جل ذكره-: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} (٣)^(٤). والأمثلة على مجادلة الأنبياء في القرآن الكريم كثيرة، ومن ذلك قول الله تعالى في حق نبيه نوح -عليه السلام-: {قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (٥)، ومعلوم أن ذلك الجدل، إنما كان لتقرير أصول الدين، ودعوة الخلق إلى سبيل الله، والدَّبُّ عن دين الله؛ لأنه لا يظهر الفرق بين الحق والباطل إلا بظهور حجة الحق ودحض حجة الباطل، وقد جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب وباهلهم وتجادل أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم السقيفة وتدافعوا وتقرروا وتناظروا حتى صدر الحق في أهله، وتناظروا بعد مبايعة أبي بكر في أهل الردة، إلى غير ذلك مما يكثر إيراده^(٦). وأما الآيات التي وردت في ذم الجدل

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، (١/ ٦٩)، رقم (٤٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، (١/ ٦٩)، رقم (٤٩).

(٣) سورة الغاشية، الآيات: (١٧ - ٢٠).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ، (٢/ ٣٣١).

(٥) سورة هود، الآية: (٣٢).

(٦) ينظر: الباب في علوم الكتاب، ابن عادل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، (٣/ ٤٠٥)، =

مثل قوله تعالى: { وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا }^(١) وقوله تعالى: { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا }^(٢) فتحمّل على أن المقصود منها هو الجدل المذموم الذي يهدف إلى تقرير الباطل، وطلب المال والجاه^(٣).

المطلب الثالث: استدلال أهل السنة والجماعة في الجدل والمناظرة

تنقسم مصادر أهل السنة والجماعة في استدلالهم في الجدل والمناظرة - بشكل عام - إلى قسمين:

- أدلة سمعية. - أدلة عقلية.

أما الأدلة السمعية فهي:

- أ - القرآن الكريم: وهو المصدر الأول للحقائق الشرعية كلها؛ فكل علم لا أصل له في القرآن الكريم فليس من شريعة الله في شيء، فالقرآن الكريم هو أساس الشريعة وأصلها ومعتمدها في العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع المرجع الأول في كل ذلك، وإنه المحتكم إليه عند الاختلاف فيها^(٤).
- ب - السنة النبوية: ما نقل عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قولاً، أو إقراراً، وهو حجة قاطعة على من سمعه منه شفاهاً، أو بلغه عنه تواتراً، وموجب للعمل إن بلغه آحاداً؛ لدلالة المعجز على صدقه، والأمر بتصديقه، والتحذير من خلافه^(٥)، كما قال

= الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، (٩ / ٢٨).

(١) سورة الكهف، الآية: (٥٦).

(٢) سورة غافر، الآية: (٤).

(٣) ينظر: الباب في علوم الكتاب، (٣ / ٤٠٥)، مفاتيح الغيب، (٥ / ٣٢٠).

(٤) ينظر: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، ط ٢، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، (١ / ١٧٣)، تاريخ التشريع الإسلامي، مناع بن خليل القطان، مكتبة وهبة - القاهرة، ط ٥، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، (ص ٣٩).

(٥) ينظر: شرح مختصر الروضة، الطوفي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، (٢ / ٦٠)، الضروري في أصول الفقه، ابن رشد الحفيد، تحقيق: جمال الدين العلوي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٩٩٤م، (ص ٦٦).

تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }^(١)، وقال تعالى: { لَقَدْ كَرَّمْنَا كَلِمَ الْوَعْدِ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا }^(٢)، وقوله تعالى: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَآخِذُوا بِمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا عَلَيْنَا مِنَ الْبَلَاغِ الْمُبِينُ }^(٣). وأما الأدلة العقلية: يعرف العلماء العقل بأنه العلم الضروري الذي يقع ابتداءً ويعم العقلاء^(٤)، وقد أجمع العقلاء على إصابة المطلوبات الغائبة عن الحواس بدلائل العقول، كإجماعهم على إصابة الحاضر بالحواس، حتى إنك لا تكاد تجد أحداً خالياً عن الاستدلال لمصلحه برأيه عن عقله، وحتى لم تكن الحجج السمعية حججاً إلا باستدلال عقلي، ولا يقع الفرق بين المعجزة وبين المخرفة، والنبى والمنتبئ إلا بنظر عن العقل، وكذلك تعرف النار مرة بصرك ومرة بدخاها مستدلاً عليها بعقلك، لا طريق للعلم إلا طريق الحواس أو الاستدلال بنظر عقلي في المحسوس ليدرك لما غاب عنها^(٥). وللعقل عند أهل السنة والجماعة مكانته اللاتقة به، وهم في ذلك وسط بين طرفين:

الطرف الأول: من جعل العقل أصلاً كلياً أولياً، يستغني بنفسه عن الشرع.

الطرف الثاني: من أعرض عن العقل، وذمه وعابه، وخالف صريحه، وقدح في الدلائل العقلية مطلقاً.

والوسط في ذلك:

ج - أ - أن العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، لذلك كان سلامة العقل شرطاً في التكليف فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال

(١) سورة الحشر، الآية: (٧).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

(٣) سورة المائدة، الآية: (٩٢).

(٤) ينظر: الحدود في الأصول، أبو الوليد الباجي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، (ص ٩٩).

(٥) ينظر: تقويم الأدلة في أصول الفقه، أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسى الحنفى، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، (ص ٤٤٢).

المخالفة للعقل باطلة، وقد أمر الله باستماع القرآن وتدبره بالعقول؛ قال تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ} (١)، وقال: {أَفَلَيْمَ يَدَّبَّرُوا الْقِيُولَ} (٢)؛ فالعقل هو المدرك لحجة الله على خلقه. ب- أن العقل لا يستقل بنفسه، بل هو محتاج إلى الشرع الذي عرفناه ما لم يكن لعقولنا سبيل إلى استقلالها بإدراكه أبدًا، إذ العقل غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار.

د- أن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به دال على صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - دلالة عامة مطلقة، فالعقل مع الشرع كالعامي مع المفتي، فإن العامي إذا علم عين المفتي ودل غيره عليه وبين له أنه عالم مفتي، ثم اختلف العامي الدال والمفتي، وجب على المستفتي أن يقدم قول المفتي (٣).

المطلب الرابع: قواعد وآداب الجدل والمناظرة عند أهل السنة والجماعة

لقد كان للمناظرة عند أهل السنة والجماعة قواعد معينة لا يخرجون عنها وآداب معينة لا يخالفونها، ومن هذه القواعد والآداب:

١. إرادة إظهار الحق أولاً وأخيراً:

يقول صاحب رد المحتار: "المناظرة في العلم لنصرة الحق" (٤)، وقد كان من دأب علماء أهل السنة والجماعة أنهم كانوا لا يدخلون في جدل ولا مناظرة إلا لنصرة الحق، وإقامة الدليل عليه؛ وفي ذلك يقول الإمام الشافعي -رحمه الله-: "ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطيء" (٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (٦): "إني في عمري إلى ساعتي هذه لم أدع أحداً

(١) سورة النساء، الآية: (٨٢).

(٢) سورة المؤمنون، الآية: (٦٨).

(٣) ينظر: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، دار ابن الجوزي، ط ٥، ١٤٢٧هـ، (ص ٦٩).

(٤) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، دار الفكر - بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، (٦ / ٤٢١).

(٥) ينظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة - بيروت، (١ / ٢٦).

(٦) هو: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحرائي الدمشقي الحنبلي تقي الدين ابن تيمية، ولد في حران عام (٦٦١هـ)، وتحول به أبوه =

قط في أصول الدين إلى مذهب حنبلي وغير حنبلي، ولا انتصرت لذلك، ولا أذكره في كلامي، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها. وقد قلت لهم غير مرة: أنا أمهل من يخالفني ثلاث سنين إن جاء بحرف واحد عن أحد من أئمة القرون الثلاثة يخالف ما قلته فأنا أقر بذلك"^(١).

٢. الوضوح وعدم تحريف الكلام:

من أهم آداب الجدل والمناظرة أن يبين كل من المتناظرين عن مقصوده باللغة الواضحة دون تعمية على من يناظره، وقد ذم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الإغراب وعدم الإيضاح، ولي اللسان بالقول؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٢)؛ فيلوون ألسنتهم: أي: يحرفون ألسنتهم بالكتاب، أو يحرفونه بالتغيير والتبديل؛ وذلك أنهم يلوون ألسنتهم عن سنن الصواب بما يأتون به من عند أنفسهم^(٣).

= إلى دمشق فنبغ واشتهر، وتوفي في دمشق سنة (٥٧٢٨هـ)، من تصانيفه: «درء تعارض العقل والنقل»، «منهاج السنة النبوية»، ينظر: أعيان العصر وأعوان النصر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: علي أبو زيد - نبيل أبو عشمه - محمد موعد - محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، (٥ / ١٤٥)، معجم الشيوخ الكبير للذهبي، الذهبي، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق - الطائف، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، (١ / ٥٦).

(١) مجموع الفتاوى، (٣ / ٢٢٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٧٨).

(٣) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض - أحمد محمد صيرة - أحمد عبد الغني الجمل - عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، (١ / ٤٥٥)، الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، (٢ / ١٠٥٦)، تفسير القرآن العزيز، ابن زمنين، تحقيق: عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، (١ / ٢٩٨).

وقال رسول الله - ﷺ -: «إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الشَّرَّارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ»^(١). أي: ينبغي للمناظر أن يقصد في حديثه مع خصومه، وأن يخاطبهم بلفظ يفهمونه فهما جليًّا، ولا يتحرى دقائق الإعراب ووحشي اللغة^(٢).

٣. القصد وعدم التطويل:

إن من آداب الحديث عمومًا والمناظرات خصوصًا القصد في الكلام وعدم التطويل وعدم الخروج عن الموضوع الرئيس^(٣).

٤. الهدوء وخفض الصوت في الكلام:

وهذا من آداب الحديث في الإسلام عمومًا وفي المناظرات خصوصًا، قال الله تعالى: {وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} ^(٤)، وقال تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} ^(٥)، أي: بالخصلة التي هي أحسن. وهي اللين والأناة، وهذه الآية أصل في آداب المناظرة والجدل^(٦).

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، (٣/ ٤٣٨)، رقم (٢٠١٨)، وقال: "هذا حديث حسن غريب".

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، (٧/ ٣٠١٩)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، (٥/ ٨٥)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ، (١٣/ ٩١).

(٣) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، ١٤٢٧هـ، (٧٧/ ٣٩).

(٤) سورة لقمان، الآية: (١٩).

(٥) سورة العنكبوت، الآية: (٤٦).

(٦) ينظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، (٧/ ٥٥٨).

المطلب الخامس: منهم أهل السنة والجماعة في التعامل مع الملحدين

ينبغي منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الملحدين على ثلاثة أسس، وهي:

١. البراءة من عملهم وعدم موالاتهم:

الأصل في المسلم أنه يوالي أولياء الله تعالى ويعادي أعداءه، بمعنى أنه يحصر محبته على أولياء الله ويناصرهم، ويبغض كل عدو لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - والقرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بالأدلة التي تأمر وتحض على البراءة منهم ومن عملهم^(١). فأما القرآن الكريم فمنه قول الله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ} (٢)، وقوله تعالى: {لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} (٣)، أي: لا يوجد قوم يصدقون الله، ويقرون باليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وشاقهما وخالف أمر الله ونهيه^(٤).

وأما من السنة فقول رسول الله - ﷺ -: «أَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ»^(٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "إن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي أن لا يجب إلا لله

(١) ينظر: الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان،

محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، مكتبة ابن عباس - مصر، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، (١ / ٣٢٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٢٨).

(٣) سورة المجادلة، الآية: (٢٢).

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مؤسسة

الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، (٢٣ / ٢٥٧)، تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم - غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، (٥ / ٣٩٣).

(٥) أخرجه الإمام النسائي في سننه، كتاب البيعة، باب البيعة على فراق المشرك، (٧ / ١٤٨)، رقم (٤١٧٧)، وقال الشيخ الألباني: "صحيح".

ولا يبغض إلا الله، ولا يوالي إلا الله، ولا يعادي إلا الله وأن يحب ما يحبه الله ويبغض ما أبغضه ويأمر بما أمر الله به، وينهى عما نهى الله عنه^(١).

٢. النصح لهم وبذل الجهد في إرشادهم:

إن الواجب على المسلمين بذل الجهد في إرشاد الملحدون والنصح لهم، ومحاولة هدايتهم للطريق الأقوم؛ وذلك هو مناط خيرية الأمة الإسلامية، قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} ^(٢)؛ فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرط وجود خيرية الأمة الإسلامية^(٣). وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «وَاللَّهِ لَيَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَيَأْخُذَنَّ عَلَيَّ يَدِي الظَّالِمِ، وَلَيَأْطُرُنَّهُ عَلَيَّ الْحَقُّ أَطْرًا، وَلَيَقْصُرُنَّهُ عَلَيَّ الْحَقُّ قَصْرًا»^(٤).

٣. تحذير المسلمين من خطرهم:

إن التحذير من التيارات الفكرية الضالة مهمة تجب على المجتمع المسلم؛ ومن أخطر هذه التيارات تيار الإلحاد؛ فقد نشأ في الأساس لإفساد الشعوب الإسلامية في عقائدها وأخلاقها وأدائها وسائر أنواع سلوكها في الحياة^(٥)؛ من هنا فقد وجب على علماء الأمة الإسلامية ودعاتها أن يحذروا عوام المسلمين من خطورة هذا التيار، وأن ينهوه عن قراءة كتب أهل الإلحاد والشرك، وكذا الإصغاء إلى كلامهم، لئلا يعلق بالذهن شيء من شبههم مما قد يسبب الميل إليهم^(٦).

(١) مجموع الفتاوى، (٨ / ٣٣٧).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١١٠).

(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، (١ / ٣١٥)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، (٤ / ١٧١).

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، (٤ / ١٢١)، رقم (٤٣٣٦).

(٥) ينظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَّة، دار القلم - دمشق، ط ٨، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، (١ / ٤٢٩).

(٦) ينظر: التعليقات على متن لمعة الاعتقاد، ابن جبرين، اعتنى به: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، دار الصمعي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، (ص ١٨٣).

المبحث الثاني الإلحاد المعاصر مفهومه - تاريخه - سماته

المطلب الأول: مفهوم الإلحاد المعاصر

أولاً: مفهوم الإلحاد المعاصر (مصطلحات مفردة):

(الإلحاد المعاصر) مصطلح كبير مركب من مصطلحين، هما (الإلحاد) و (المعاصرة)، ولا يتضح مفهومه إلى ببيانهما، وقد انتهينا في أول مطالب هذا البحث من تعريف مصطلح (الإلحاد) - بشكل عام - وبيان المراد منه في اللغة الاصطلاح، وفيما يلي بيان مفهوم (المعاصرة) لغة واصطلاحاً.

المعاصرة لغة: المعاصرة في اللغة مصدر على وزن مفاعلة من الفعل الرباعي المزيد بالألف عاصر على وزن (فَاعَلَ)، يقال: عاصره يعاصره معاصرة، إذا عاش معه في عصر واحد، والعصر هو الدهر أو الزمن، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾^(١)، والجمع عصور^(٢).

المعاصرة اصطلاحاً: يقصد بـ(المعاصرة) الاعتماد على ما يقتضيه آخر ما وصلت إليه المعارف الإنسانية من الأساليب والوسائل العلمية في مناقشة القضايا في شتى المجالات، أو -بمعنى أدق- هي كون المرء واعياً لآخر ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية من آراء وأفكار في القضايا المختلفة، مع معرفة الوسائل التي استخدمتها للوصول إليه، ومجموعة الخطوات التي اتبعتها للكشف عنها أو البرهنة على صحتها^(٣).

(١) سورة العصر، الآيتان: (١، ٢).

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٢/ ٧٤٨)، تاج العروس من جواهر القاموس، (١٣/ ٧٣).

(٣) ينظر: الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، محمد رأفت سعيد، دار المنهاج - القاهرة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، (ص ٩)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقدم وترجمة)، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٩٨م، (ص ١٥٠).

ثانياً: مفهوم الإلحاد المعاصر (مصطلحا مركباً):

مصطلح (الإلحاد المعاصر): هو مصطلح يعبر عن تيار فكري يستخدم الوسائل البحثية الحديثة، ومناهج البحث العلمي المعاصرة في الدعوة إلى فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق - سبحانه وتعالى - وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت، مع ادعاء أصحاب هذا التيار بتأييد الحقائق العلمية لأفكاره ومبادئه^(١). واستخدام هذه الوسائل - التي هي في ظاهرها وسائل علمية - قد أدت إلى أن أُطلق على هذا المذهب اسم (الإلحاد العلمي)^(٢)، كما أُطلق دعاة هذا التيار على أفكارهم مصطلحات أخرى، مثل التقدمية والعصرية، وغير ذلك من هذه الأسماء الجوفاء، وهم يستخدمون هذه الأسماء باستخدامات تناسب نظريتهم فهم يقولون: إن الإنسان التقدمي هو الإنسان المهذب في سلوكه والواقعي في حكمه والصادق في التعبير عنه، هذا التعريف لم يقف عند هذا المفهوم، بل أصبح يطلق في جانب العقائد على الإنسان الذي ينبذ التدين والتقاليد، وينفلت من كل ارتباط بالفضائل الدينية ويتخذ الإلحاد مذهباً، مثل الأحزاب التي أطلقت على نفسها صفة التقدمية في البلاد العربية وفي غيرها^(٣). هذا ويجب التنبيه هنا على الفارق بين مصطلح (الإلحاد المعاصر) ومصطلح (الإلحاد الجديد)؛ فإن الأول كان منبته - كما سوف يأتي - مع نهاية القرون الوسطى نتيجة الثورة العلمية المتنامية التي شهدتها أوروبا؛ أما الثاني فإنه يشير إلى موجة إحدانية متعاطفة في الغرب بعد أحداث ١١ سبتمبر؛ فقبلها كان الملحدون لا ينخرطون كثيراً في الطعن على الأديان ولا الدعوة لاستئصالها، لكن بعد أحداث ١١ سبتمبر، والتي أتهم فيها الدين الإسلامي، ثم رد فعل الإدارة الأمريكية التي شنت حربين على كل من العراق

- (١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق - القاهرة، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، (ص ٦٠٥)، النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، حسن محمد حسن الأسمرى، مركز التأصيل للدراسات والبحوث - جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، (٢ / ١٣١٣)، الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، دار الانتشار العربي - بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، (ص ١٧).
- (٢) ينظر: الإلحاد (وسائله - خطره - سبل مواجهته)، صلاح بن عبد العزيز بن عثمان سني، دار اللؤلؤة - بيروت، ط ١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، (ص ١٧)، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، محمد البهي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٨١م، (ص ٢٦).
- (٣) ينظر: كواشف زيوف، (ص ٥٠٧).

وأفغانستان راح ضحيتهما الآلاف؛ بعد هذه الأحداث شعر الملحدون أن الأديان سوف تتسبب في حدوث حرب عالمية ثالثة تبيد الحضارة على كوكب الأرض وتقضي على الوجود البشري بأكمله، وأن الأديان بهذه الصورة -من وجهة نظرهم- صارت خطرًا على البشرية كلها؛ ومن ثم يجب التخلص منها، ومحوها من على سطح الأرض^(١).

المطلب الثاني: تاريخ الإلحاد المعاصر

إن الأسلوب الأمثل لاستعراض تاريخ الإلحاد المعاصر -من وجهة نظر البحث- يقتضي أن ينقسم هذا العرض إلى قسمين إلى قسمين:

القسم الأول: استعراض لتاريخ فكرة الإلحاد في العصر الحديث بشكل عام.

القسم الثاني: استعراض لتاريخ أهم التيارات الإلحادية في العصر الحديث... وفيما يلي عرض لهذين القسمين بشيء من التفصيل.

القسم الأول: استعراض لتاريخ فكرة الإلحاد في العصر الحديث بشكل عام:

لا بد في بداية استعراض فكرة (الإلحاد) في العصر الحديث من التنبيه على أن فكرة الإلحاد في العصور القديمة -أي: قبل العصر الحديث وما شهدته من تطور الوسائل العلمية والبحثية- لم تكن ظاهرة جماعية على امتداد التاريخ الإنساني، وإنما كانت نزعات شاذة لبعض أصحاب الفكر الشاذ المنحرف، ولم تكن بهذه الصورة وبهذا الاتساع الذي تمارسه الجاهلية المعاصرة، في أي فترة سابقة من فترات التاريخ^(٢). وقد حكى القرآن الكريم في آيات كثيرة اعتراف الكافرين وأعداء الرسل بوجود إله خالق مدبر للكون يسير كل شيء وفق إرادته؛ ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ

(١) ينظر: الإلحاد للمبتدئين، هشام عزمي، دار الكتاب للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠١٥م، (ص ٢٠).

(٢) ينظر: الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، (ص ٢٦)، مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق - القاهرة، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، (ص ٦٠٥)، النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، حسن محمد حسن الأسمرى، مركز التأصيل للدراسات والبحوث - جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، (٢/ ١٣١٣).

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيُقْبَلَنَّ اللَّهُ فَيَأْتِيَ يُؤْفَكُونَ^(١)، وقوله تعالى: {وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيُقْبَلَنَّ خَلْقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}^(٢). ففي هذه الآيات وغيرها إقرار من الكافرين بوجود الله تعالى، وأنه هو الخالق المدبر للكون؛ لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود، وأن كل ما سواه فإنه لا يوجد إلا بتكوينه ولا يفنى إلا بإفناؤه سواء كان عقلاً أو نفساً أو روحاً أو جسمًا أو جوهرًا أو عرضًا أو فاعلاً أو فعلاً^(٣)؛ أما في العصر الحديث فإن تاريخ فكرة الإلحاد مرتبط إلى حد بعيد بما يطلق عليه في تاريخ الثقافة الغربية (العصور الوسطى) أو (القرون الوسطى)، تلك الفترة التي كانت ما بين ٨٠٠م - ١٥٢١م، والتي كانت على أوروبا ظلمًا وظلامًا وضلالة؛ وكان السبب الرئيس في ذلك سيطرة الكنيسة ورجال الدين الكاثوليك في أوروبا على الفلسفة الأوروبية، حيث سخّرت العقل لإخراج تحريفها للوحي؛ لإلهي في فلسفة عقلية مسلمة لا يقبل مناقشتها، ومارست من أجل ذلك إرهابًا فكريًا انكمش على أثره نشاط العقل الأوروبي، وانحصر فيما تمليه الكنيسة والمجامع المقدسة^(٤). وفي ظل هذه الظروف الصعبة، والظلمات الخالكة في أوروبا هب كثير من رجال الفكر والعلم الحديث ليبدؤوا ثورة على تلك الأوضاع، ويحاولوا إخراج أوروبا مما هي فيه، وقد رأى هؤلاء المفكرون أن أول الطريق إلى الخروج من هذا النفق المظلم هو الخروج من سيطرة الكنيسة، أو -بمعنى أقرب- فصل الدين عن الدولة، والدعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين، تلك الدعوة

(١) سورة العنكبوت، الآية: (٦١).

(٢) سورة الزخرف، الآية: (٩).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ، (٨ / ٢٨٠)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، (٤ / ١٩٨).

(٤) ينظر: الإلحاد.. أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمن عبد الخالق، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، ١٤٠٤هـ، (ص ٨)، التنصير.. تعريفه أهدافه وسائله حشرات المنصرين، عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، دار الكتاب والسنة، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، (ص ٥)، حُكْمُ الجَاهِلِيَّةِ، أحمد شاکر، مكتبة السنة - القاهرة، (ص ١٧٢)، (د. ت).

التي عُرفت فيما بعد باسم العلمانية (SECULARISM)^(١). ومصطلح العلمانية هذا يعني في حقيقته اللادينية أو الدنيوية، وهي مفهوم يرى ضرورة أن تقوم الأخلاق والتعليم على أساس غير ديني، وهي فكرة تقوم في أساسها على ثلاثة أركان هي:

الركن الأول: قَيْصُر الاهتمام الإنساني على الدنيا فقط، وتأخير منزلة الدين في الحياة، ليكون من ممارسات الإنسان الشخصية، فلا يتدخل في الحياة العامة.

الركن الثاني: فَصْل العلم والأخلاق والفكر والثقافة عن الالتزام بتعاليم الدين، أيّ دين كان.

الركن الثالث: إقامة دولة ذات مؤسسات سياسية على أساس غير ديني^(٢).

وبعد النجاح الباهر للعلم والوسائل الحديثة في أوروبا بعد القرون الوسطى، واستقلاله عن الفلسفة وعن الدين في إطار الحضارة الغربية، أصبح يمثل عند تيارات الفكر أيديولوجيا جديدة تنافس الفلسفة والدين في تلك الحضارة، وقد نشبت صراعات فكرية كبيرة بسبب ذلك^(٣). ومن ثم كانت العلمانية بهذا الوصف هي المبشر الأول والخطوة الأولى في سبيل الوصول إلى انتشار تيار الإلحاد المعاصر؛ ذلك لأن العلمانية - مع تظاهرها بالدعوة إلى الأخذ بالحقائق العلمية القائمة على العلوم الوضعية - تشجع المذاهب الفكرية القائمة على الإلحاد والكفر بكل الأديان وتبناها؛ ولذلك كان قبول العلمانية في أي مجتمع معناه تبني الإلحاد والمروق من الأديان، وإنكار وجود إله خالق

(١) ينظر: العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٤٢٢هـ، (ص ٣٣٩)، الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، عبد المنعم محمد حسنين، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، (ص ٩١).

(٢) ينظر: الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين - مصر، (ص ١٢)، (د. ت)، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية - جدة، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، (٢ / ٦٨٤).

(٣) ينظر: النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، (٢ / ١١٥١).

لهذا الكون^(١). ثم تطور الفكر الإلحادي بعد ذلك وأخذ صورة النظرية العلمية على يد مجموعة من التيارات الفكرية والعلمية التي ظهرت في العصر الحديث والتي يأتي الحديث عنها وعن تاريخ أهمها في القسم الثاني.

القسم الثاني: استعراض لتاريخ أهم التيارات الإلحادية في العصر الحديث:

الداروينية: تنتسب الحركة الفكرية الداروينية إلى الباحث الإنجليزي تشارلز داروين الذي ولد في ١٢ فبراير ١٨٠٩م، بدأ دراسة الطب ثم لم يكمل مسيرته. وانتقل إلى دراسة اللاهوت. وكان شغفه بالرحلات العلمية الاستكشافية وراء البحار، وتعلق بالبحث في عالم الأحياء، ودون ملاحظاته التي توصل إليها طوال ربع قرن من البحث، ثم توفي سنة ١٨٨٢م^(٢). وقد بدأ هذا التيار عندما نشر داروين كتابه (أصل الأنواع) في سنة ١٨٥٩م، ذلك الكتاب الذي طرح فيه داروين نظريته في النشوء والارتقاء، والتي عُرفت باسم (نظرية التطور)، تلك النظرية التي زعزت القيم الدينية، وتركت آثارًا سلبية على الفكر العالمي^(٣). ونظرية التطور في جوهرها فرضية بيولوجية أبعد شيء عن أن تكون نظرية فلسفية عامة، كما أنها بعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة، وقد بدأ داروين في صياغة تلك النظرية عندما قرر أنه يمكن عن طريق (الانتخاب الصناعي) تأكيد صفات معينة أو إضعافها في النسل الناتج من زوجين منتخبين بصفات معينة، وأنه يحدث مثل ذلك في الطبيعة عن طريق الانتخاب الطبيعي، وأن التغيير الناشئ من هذا الانتخاب يمكن أن يصل إلى حد استحداث صفات جديدة لم تكن في أي من الأبوين كطول المنقار في بعض الطيور، أو الألوان الزاهية في بعضها الآخر أو غير ذلك من الصفات؛ فافتراض أن مثل هذه التغييرات قد حدثت في الطبيعة من قبل خلال ملايين السنين من عمر الحياة على سطح الأرض؛ مما أدى على الدوام إلى ظهور أنواع جديدة، وأدى كذلك -بتراكم التغييرات- إلى ظهور أجناس جديدة لم يكن لها وجود من قبل، ثم تصور أنه من خلال هذه العملية التي سماها عملية (التطور) سارت الحياة في سلسلة

(١) ينظر: العلمانية وموقف الإسلام منها، (ص ٤٠٦)، كواشف زيوف، (ص ٤٣٨)، مذاهب فكرية معاصرة، (ص ٤٤٨).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢ / ٩٢٥)، كواشف زيوف، (ص ٣١٧).

(٣) ينظر: النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، (١ / ٢٠٤).

طويلة من الرقي التدريجي بدأت بالكائن الوحيد الخلية وانتهت بالإنسان على النحو التالي:

كائن وحيد الخلية (كالأميبا) - فطريات متعددة الخلايا - نبات - نبات يشبه الحيوان (كالهيدرا) - حيوان يشبه النبات (كالمرجان) - حيوانات لا فقارية - حيوانات فقارية دنيا (كالأسماك والطيور) - حيوانات فقارية أرقى (كالثدييات الدنيا) - الثدييات العليا - القردة الدنيا - القردة العليا (الغوريلا) - إنسان الغاب (الشمبانزي) - القرد الشبيه بالإنسان أو الإنسان الشبيه بالقردة - الإنسان^(١). وبناء على هذا الافتراض فإن الداروينية تقرر في النهاية نفي يد الله من عملية الخلق كله، ويقرر أن الحياة وجدت على الأرض بالصدفة، في ظروف معينة؛ ولهذا يقول داروين: "إن الطبيعة تخلق كل شيء، ولا حد لقدرتها على الخلق"، كما قال: "إن الطبيعة تخطط خبط عشواء"^(٢).

الماركسية: ينسب هذا التيار إلى مؤسسه الفيلسوف والاقتصادي الألماني اليهودي (كار هنريج ماركس)، المولود في عام (١٨١٢م)، وأصدر مع صديقه (فريدريك أنجلز) كتاب (البيان الشيوعي) الذي نشر فيه نظريته الشيوعية والماركسية في الاقتصاد ورأس المال سنة (١٨٤٧م)، ثم توفي في لندن سنة (١٨٨٣م)^(٣). وقد أخذ ماركس جوهر النظرية الداروينية وأنشأ على أساسه نظرية اقتصادية وتفسيرا للحياة البشرية يحصر الإنسان في عالم المادة والتطور المادي، ويجعل قوانين المادة منطبقة على عالم البشر، كما يجعل أمور الحياة كلها من عقائد ومشاعر وأفكار وغير ذلك تبعا للتطور الاقتصادي وللأوضاع المادية التي يعيش فيها الإنسان ومجرد انعكاس لها، لا تسبقها، ولا تخرج عنها، ولا دور للإنسان فيها إلا أن يدور مع التطور الاقتصادي ومقتضياته؛ لأنها (حتميات)، وقسم ماركس -بناء على ذلك- الحياة البشرية بمقتضى هذا التصور إلى خمس مراحل حتمية: هي الشيوعية الأولى والرق والإقطاع والرأسمالية والشيوعية الثانية

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، (ص ٩٣)، النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، (١/ ٢٠٤)، العلمانية وموقف الإسلام منها، (ص ٣٥٥).

(٢) ينظر: كواشف زيوف، (ص ٣٢١)، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، (٢/ ١١٠٨).

(٣) ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرايشي، دار الطليعة - بيروت، ٣، ٢٠٠٦م، (ص ٦١٨).

والأخيرة، وجعل الانتقال من كل طور من هذه الأطوار إلى الطور اللاحق له حتمياً من جهة، ومردوداً إلى أسباب مادية واقتصادية من جهة أخرى^(١).

هذا ويقوم هذا التصور الماركسي على مقومات أربعة:

١- التفسير المادي للتاريخ.

٢- إلغاء الملكية الفردية والقضاء على الأسرة.

٣- القضاء على الدين.

٤- القضاء على الأخلاقيات.

ومن ثم فهو يزعم أن الحياة عبارة عن مادة تتحرك وفق قانون مادي.. وتنكر وجود الخالق، وترى أيضاً أن الأديان كلها مخدرة للعقول، وهي أفيون الشعوب وأن وجود الدين والدعاة عوامل ضعف يجب التخلص منهما والقضاء عليهما؛ ولذا فالإلحاد في الماركسية يعتبر دعامة أساسية من الدعائم التي تقوم عليها هذه الفكرة^(٢).

الوجودية: يعتبر (جان بول سارتر) هو المؤسس الأول للتيار الوجودي في العصر الحديث، وهو كاتب وفيلسوف فرنسي ولد في باريس سنة (١٩٠٥م)، ودخل مدرسة المعلمين العليا سنة (١٩٢٤م)، ثم تدرج حتى أصبح أستاذاً للفلسفة في جامعة هارفرد سنة (١٩٢٩م)، ثم أسس للمذهب الوجودي بكتاب (نظرية الانفعالات) الذي أصدره سنة (١٩٣٣م)، وتوفي سارتر سنة (١٩٨٠م)^(٣). ومع أن مذهب الوجودية هو أحد المذاهب التي أنشئت في أوروبا للهروب من سلطان الكنيسة إلا أنه قد اتخذ طابعاً مختلفاً في التفلسف والعصيان، يتلخص في تقديس الإنسان لنفسه أولاً وأخيراً، وأن يرتع في المعاصي واقتناص الشهوات كما يحلو له دون الخوف من حسيب ولا رقيب^(٤).

(١) ينظر: أضواء على المذاهب الهدامة، عبد القادر شيبية الحمد، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (٧/ ١٢٢).

(٢) ينظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٩، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، (ص ٢٢٠)، بناء المجتمع الإسلامي، نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة - القاهرة، ط ٣، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، (ص ٧٣).

(٣) ينظر: معجم الفلاسفة، (ص ٣٤٨).

(٤) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، (٢/ ٨٥٧).

والوجودية التي نادى إليها سارتر تقوم على أن مجرد الإنسان نفسه بالتحلل من كل ما يربطه بالمجتمع من نظم وقواعد وعادات وتقاليد، وأن يطلق نفسه على هواها تهيم في كل واد، وترعى كل ما يصادفها على طريقها من غير وعي أو تفكير أو تقدير لما يأخذ أو يدع من أمور، ومن غير تقييد بشيء ما؛ فلا دين ولا بيت ولا زوجة ولا وطن^(١). والأساس الذي تنبني عليه الوجودية هو الغلو في قيمة الإنسان، والمبالغة في التأكيد على تفرده وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه؛ فهي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع. وتعتبر جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالحياة والموت والمعاناة والألم، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم^(٢).

وعلى ذلك فإن الوجودية في أساسها قائمة على الإلحاد؛ فإنها تذهب إلى جعل الإنسان هو الخالق لحياته وتفكيره بتطوره المستمر حسب إرادته وميوله، دون أن يكون له مشارك مدبر خارج ذاته -نفي وجود الله- فهو الذي يخلق الخير والشر والطيب والخبيث باختياره وإرادته^(٣).

المطلب الثالث: سمات الإلحاد المعاصر

نستطيع أن نورد أهم السمات التي يتميز بها الإلحاد في العصر الحديث في النقاط

الآتية:

١- التظاهر بالقيام على الأدلة العلمية:

لقد قامت الفكرة الإلحادية الأولى في العصر الحديث - كما سبقت الإشارة - على الزعم بوجود التناقض بين الدين والحقائق العلمية، استناداً إلى وجود اختلاف بين بعض المعارف الدينية وبعض الفرضيات أو النظريات التي لم تصبح بعد حقائق علمية، وهم يزعمون كذباً، أو يتصورون خطأً أن هذه الفرضيات أو النظريات قد أصبحت حقائق علمية ثابتة بشكل قطعي غير قابل للنقض، وهنا يقعون في غلط علمي فاحش جداً، ويتبع ذلك سقوطهم في ضلال اعتقادي كبير تجاه الدين وأصوله ومعارفه، علماً بأن طائفة من النظريات التي نسبت إلى العلم قد وُضعت خصيصاً لدعم قضية الإلحاد

(١) ينظر: كواشف زيوف، (ص ٣٥٩).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢/ ٨١٨).

(٣) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، (٢/ ٨٦٢).

والكفر بالله، على أيدي يهود أو أجراء يهود، وصيغت لها المقدمات والمبررات التي ليس لها قواعد منطقية علمية صحيحة^(١)، وإذا نظرنا إلى التيار الماركسي على سبيل المثال وجدت مقصودهم بالعلم هو فلسفة (ماركس) و (أنجلز) أو تأويلات (لينين) أو (تروتسكي) أو غيرهم، فجعلوا الفلسفة الإلحادية المادية مرادفة للعلم، وعندما يظهر أن هدف إعلان العلم هو غطاء من أجل تسريب الفكر المادي الإلحادي في صورته الماركسية^(٢).

٢- التشجيع اليهودي:

إن الباحث في معظم النظريات أو التيارات الفكرية الإلحادية في العصر الحديث يجد أن أهم مؤسسيها كان أغلبهم من اليهود، وهم يهود يتبنون الفكر الإلحادي، ولهم حسابات كبيرة مع المسلمين، وظهورهم بصورتهم الصريحة يعقد الوضع، لذا كان الطريق الأنسب في صرف الناس عن مصدر دينهم يتم بوضع منافس له مع التشكيك في مصدرية الوحي وصدق الدين^(٣)؛ فالإلحاد هو الخطوة الأولى التي تليها خطوة حمل الناس على الاعتقاد بصحة الديانة اليهودية وحدها، القضية بأن اليهود شعب الله المختار للسيادة على العالم واستبعاد من عداهم من البشر، وإلهم لا يسمح لغيرهم باعتراف اليهودية فيما يرون^(٤). ومن الأمثلة على ذلك ما قام به اليهود من تشجيع دعوة الوجودية التي انتشرت في ربيع أوروبا وأمريكا نتيجة لموجة الانحلال عن المسيحية التي انتابت هذه البلاد، وقد حركت أصابع الصهيونية تلك الدعوة، وأخذ اليهود يروجونها لإشاعة الانحلال والفوضى في المجتمعات الأوربية والأمريكية، ثم حاولوا تصديرها إلى بلاد المسلمين بواسطة شباب المسلمين الذين يذهبون إلى بلاد الغرب طلبا للعلم، ويلعب المستشرقون دورا كبيرا في تضليل شباب المسلمين بهذه الدعوة؛ ليتحرروا من الدين ومن العقل ومن الإنسانية، وليصيروا كالأنعام؛ فلا

(١) ينظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن حسن حَبَنَّكَة، دار القلم - دمشق، ط ٥، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، (ص ٣٠).

(٢) ينظر: النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، (٢ / ٨٣١).

(٣) ينظر: النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، (٢ / ٨٣١).

(٤) ينظر: الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، ترجمة: محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي - بيروت، (ص ١٨٧).

يخشى خطرهم على الاستعمار في أي شكل من أشكاله؛ فتتحقق بذلك أهداف الاستعمار والاستشراق في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته^(١).

٣- اللجوء إلى استدراج العواطف للإقناع بالفكرة:

دائماً ما تُظهر التيارات والأفكار الإلحادية أنها تسعى في خدمة مصلحة الإنسان، والدفاع عن حقوقه، متخذة ذلك وسيلة لاستدراج عواطف الناس لإقناعهم باعتماد الفكر الإلحادي؛ فالوجودية مثلاً أظهرت جعلت الإيمان بالله عائقاً كبيراً عن حرية الإنسان، وذهبت إلى أن أثر التعاليم الربانية على الإنسان جد خطير؛ لأنه يضيع عليه فرصة التمتع بالأهواء والتمرغ في الشهوات، ومن ثم فالإنسان عندهم حر ومسئول أمام نفسه فحسب^(٢). فهي تقدم بهذه الشعارات لإقناع الناس بأنها تدافع عن حريتهم؛ ومن ثم تؤثر على مشاعرهم وتقنعهم باتباعها؛ ولكن في حقيقتها هي دعوة إلى عزل الإنسان عن عالمه الروحي، وجعله جسداً حيوانياً، ولا يجد في كيانه شيئاً من العواطف والمشاعر الإنسانية، وهي بهذا تفسد طبيعة الإنسان وتدمر عقله وقلبه وروحه، وتحوله إلى حيوان بلا عقل ولا قلب ولا روح^(٣). وقد كان للأحوال الاقتصادية التي يمر بها الناس نصيب الأسد في تقبل الناس للإلحاد؛ حيث انعدمت في المذهب الرأسمالي ونظام الإقطاع وسيطرة البابوات والأباطرة صفة الرحمة والعطف على الفقراء، فازداد الأغنياء غنىً، وازداد الفقراء فقراً وذلك؛ فاستغل الملاحدة تلك الأوضاع للتأثير على الناس بأن الأمر موكول إلى تصرفات الناس وليس هناك إله مدبر له، فازداد نشاط دعاة الإلحاد وأظهروا أنفسهم بمظهر المنقذ للفقراء، والساهر على مصالحهم، والمهتم بمشاكلهم، والمتصدي للقضاء على كل الأنظمة الفاسدة والطبقات المتجبرة^(٤).

٤- القاعدة الواسعة:

لقد قدمنا أن فكرة الإلحاد بمعنى إنكار وجود الله، والقول بأن الكون وجد بلا خالق لم تكن منتشرة في العصور القديمة لم توجد من قبل في جاهليات التاريخ السابقة، ومن المؤكد على أي حال أنها لم توجد بهذه الصورة وبهذا الاتساع الذي تمارسه

(١) ينظر: الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، (ص ٩١).

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢ / ٨٨٨).

(٣) ينظر: الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، (ص ٩٠).

(٤) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، (٢ / ١٠١٢)، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، (ص ٢٦).

الجاهلية المعاصرة، في أي فترة سابقة من فترات التاريخ، حتى في العصور اليونانية القديمة المتسمة بسعة الحركة الفلسفية كان القول بإنكار الباري - سبحانه وتعالى - لا يكاد يُسمع له صوت بين الفلاسفة والمفكرين ورجال الحكم والسياسة^(١). أما الإلحاد في هذا العصر - عصر الثورة الصناعية - فإنه يتسم بقاعدة أتباع واسعة حتى أصبح علما ومنهج حضارة، وفلسفة يُبشر بها، ولم يعد سلوكا فرديًا ولا حتى سلوكًا جماعيًا عارضًا^(٢).

٥- الدعوة إلى الحرية الجنسية والخروج على القيم الاجتماعية:

لقد كانت الدعوة إلى الإلحاد في أوروبا هي السبب الرئيس وراء انتشار الحرية الجنسية في الغرب، وقد أصبح مفهوم الحرية عندهم مرادفا لمفهوم التحرر من الفضائل، التي تمثل عندهم قيودا على نزواتهم ومصالحهم المادية، ولعل الماركسية هي أكثر التيارات الإلحادية إمعانًا في هذا، فعقيدتها وهي المادية الجدلية، تحتم على الإنسان أن يكون ماديًا فحسب، فغايبته إشباع غرائزه وشهواته^(٣).

٦- التعصب الأعمى:

إن من أهم ما يميز الفكر الإلحادي في العصر الحديث ذلك المنطق المتعصب تعصبًا أعمى أصم، وقد أدى داء التعصب المذهبي لأقوال قادة المذهب المادي الإلحادي، لا سيما واضعو النظريات الإلحادية المادية من اليهود إلى أن أصحابه لا يكادون يرون علما إلا ما قاله قادتهم، ولا يكادون يمجدون نظرية أو رأيًا إلا ما ينسب إليهم، ولا يكادون ينظرون إلى مدرسة علمية في العالم غير المدارس التي تنسب إليهم، حتى كأن أقوال أحدهم فيهم أقوال عاشق مشغوف بحب، وليست أقوال باحث علمي دارس للعلوم وعارف بمختلف النظريات^(٤).

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، (ص ٦٠٥)، كيف نحارب الإلحاد، محمد أحمد باشميل، دار المعرفة - بيروت، ط ١، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، (ص ٥، ٦).

(٢) ينظر: الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، مؤسسة الانتشار العربي - بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، (ص ١١٦)، الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم حسن فرغل، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، (ص ١٦).

(٣) ينظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية، سالم علي البهنساوي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، (ص ١٤٧)، صراع مع الملاحدة حتى العظم، (ص ١٠٩).

(٤) ينظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، (ص ٢٠٧)، نقد الفكر الديني، (ص ١١٧).

المبحث الثالث

معالم النقد المعاصر

تطبيقات من خلال كتب "شموع النهار" و"كيف تخاور ملحدًا؟"،
مناظرة الملحدين

المطلب الأول: كتاب (شموع النهار).. عرض ونقد

أولاً - العرض:

لقد ذكر مؤلف الكتاب الشيخ عبد الله بن صالح العجيبي في مقدمة كتابه السبب الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب؛ فقال: "الباعث الأساس للكتابة هنا: هو محاولة لتقديم مادة علمية مناسبة لشريحة واسعة من المثقفين من المهتمين بالجدل الديني الإلحادي المعاصر، وتشكيل تصور ذهني مجمل حيال أهم معالم هذا الجدل"^(١). فقد أقر المؤلف في هذه الفقرة بأن كلامه موجه لشريحة من (المثقفين)، وقبل عرض المنهج الذي من خلاله خاطب المصنف ما يسمى بـ(المثقفين) ينبغي بيان المقصود بهذا اللقب؛ ولقب (المثقف) في الفكر الحديث يطلق على ذلك الشخص الذي لديه إلمام كلي مركب يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين، والفرق بينه وبين العالم يظهر من خلال طبيعة معارف كل منهما؛ فالعلم عالمي بطبيعته يلتقي مع كل أمة وكل مجتمع، ولكن الثقافة خاصة بكل أمة بعينها، والعلم يرمي إلى تنمية الملكات، وهو في نهاية المطاف وسيلة وإرادة، وقد يستعمل للخير والشر على السواء، وتشكل وجهته في بوتقة الثقافة نفسها^(٢). وبناء عليه فإن الناظر في كتاب "شموع النهار" يجد أنه موجه توجها خاصا لمناقشة فكرة (الإلحاد) داخل مجتمع بعينه (هو المجتمع العربي) متمثلا في مثقفيه؛

(١) شموع النهار، عبد الله العجيبي، مكتبة مؤمن قريش - الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م، (ص ١٩).

(٢) ينظر: أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٩، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، (ص ١٥)، مفهوم الثقافة، دنيس كوش، ترجمة: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة - بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م، (ص ١١٢).

ولذا فقد بنى المؤلف منهجه على محاور تساعد على مناقشة هذه الفكرة داخل هذا المجتمع خاصة، وأهم محاور هذا المنهج:

١- حرص المؤلف على مناقشة الفكرة من الوجهة الفلسفية لا من الوجهة العلمية؛ بمعنى أن الكاتب لم يتعرض للإلحاد المعاصر من حيث الوسائل العلمية والتطور البحثي الذي كان سنداً له عند أصحابه، بل ناقش القضية من حيث الدلالة العقلية أو الفطرية لها أو عليها، ومن حيث الاعتراضات الفلسفية الواردة عليها؛ فقرر أن قضية وجود خالق للكون تصدر عنه المخلوقات هي بديهية عقلية صعب الاستدلال عليها، وأن مشكلة الملاحدة في ذلك العصر - خصوصاً الداروينية - التي أدت بهم إلى ذلك الفكر ترجع في جزء رئيس منا إلى النظرة المادية للوجود، وأن المادة هي الحاكمة على المبادئ العقلية^(١).

٢- حرص المؤلف على الاعتماد الشديد على الموروث الإسلامي، ومصادر الثقافة الإسلامية، مثل كتب شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) - رحمه الله - وكتب التفاسير ودواوين الحديث، ومن الأمثلة على ذلك أنه حين ذكر أن معرفة الله تعالى يرجع في أصله إلى الفطرة البشرية اعتمد في ذلك على نقل قول الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: "فإذا رأى آياته المستلزمة لوجوده، كان ذلك تبصرة من ذلك اللطيف، كما قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ }"^(٣)، وتكون تذكراً إذا حصل نسيان وغفلة تذكراً بالله، فهي تبصرة لما قد يعرض من الجهل،

(١) ينظر: شموع النهار، (ص ٤٥)، (ص ٤٨، ٤٩).

(٢) هو: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي تقي الدين ابن تيمية، ولد في حران عام (٦٦١هـ)، وتوفي في دمشق سنة (٧٢٨هـ)، من تصانيفه: «درء تعارض العقل والنقل»، «العقيدة الواسطية»، وغيرهما، ينظر: معجم الشيوخ الكبير، الذهبي، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق - الطائف، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، (١ / ٥٦)، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي - بيروت، (ص ٢٤).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (٢٠١).

وتذكروا لما قد يحصل من غفلة، وإن كان أصل المعرفة فطرياً حصل في النفس بلا واسطة ألبتة" (١).

٣- اعتمد المؤلف في معظم كتابه على منهج سردي؛ حيث عرض قضية الوجود الإلهي في الأساس، وبسط الشبهات التي تعترضها في عقول الملحددين، والأدلة على بطلانها وإثبات دليها ومقارنة ما ساقه أصحاب تلك القضية من أدلة وما ساقه القرآن الكريم والسنة النبوية والمفكرون المسلمون على بطلانها وإثبات نقيضها، ولم يقيم أسلوبه على محاولة مناقشة الملحددين، أو مجادلتهم في آرائهم إلا في نماذج قليلة جداً من كتابه.

٤- اعتمد المؤلف في إثبات قضية الوجود الإلهي على دليلين:

دليل الفطرة: فيقول: "إن معرفة الباري - تعالي - تمثل قضية فطرية ضرورية راسخة في النفس، شأنها في ذلك شأن كثير من المعارف الضرورية، والتي لا يتوقف العلم بها وإدراك ضرورتها القيام بفعل الاستدلال" (٢).

دليل العقل: وقد وضح المؤلف أن هذا الدليل تال لدليل الفطرة، وأن للعقل دوراً في تثبيت هذه المعرفة الفطرية والتذكير بها في حال طرأ الشبهة عليها أو الغفلة عنها (٣).

ثانياً - النقد:

أولاً - بيان الأوجه الإيجابية في الكتاب:

١- موافقة القرآن والسنة في استخدام دليل فطرية معرفة الله تعالي: لقد أفرد الكاتب جزءاً كبيراً من كتابه لطرح دليل فطرية المعرفة بالله تعالي، ومن ذلك قوله: "لو نظرنا لتركيب هذا الإنسان وطبيعته، وما نجده من أنفسنا ضرورة فسندرك أن المصحح هنا جزماً عو القول بفطرية هذه المعرفة، وأن معرفة الباري تعالي تمثل قضية فطرية ضرورية راسخة في النفس شأنه في ذلك شأن كثير من المعارف الضرورية، والتي لا يتوقف العلم بها وإدراك ضرورتها على القيام بفعل الاستدلال" (٤). هذا وقضية الإقرار بفطرية المعرفة الإلهية

(١) دره تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، (٨ / ٥٣١).

(٢) شموع النهار، (ص ٢٤).

(٣) ينظر: السابق نفسه، (ص ٨٧).

(٤) شموع النهار، (ص ٢٤).

أحد أبرز الطرق التي سلكها القرآن الكريم في الإقناع ورد الشبهات، وقد ذكر القرآن الكريم في غير موضع فطرية الإيمان بالله تعالى، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (١)؛ فالله تعالى قد جعل الجبل في كل أحد من خلقه الشهادة لله بالوحدانية له والألوهية فاختلفوا: فمنهم من كان على تلك الفطرة، ومنهم من كذب واختار الكفر (٢). كما دلت السنة النبوية المشرفة على اعتماد دليل الفطرة، وأنه من أقوى الأدلة على وجود الله - سبحانه وتعالى - ومن ذلك قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجَّسِنَانِهِ، كَمَثَلِ الْبَيْهَمَةِ تُنْتَجِحُ فِيهَا جَدْعَاءُ» (٣)؛ يعني أن الفطرة التي فطر عليها مخلوقات هي الإيمان بالله تعالى، والإقرار بوجوده وبربوبيته وألوهيته (٤). وهذه الفطرة التي استدل الإسلام بها هي أيضا تمثل ذلك العهد والميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده، والتي جاءت في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَيَّ أَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

(١) سورة الروم، الآية: (٣٠).

(٢) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، (١ / ٤٩)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ، (٣ / ٤٧٩)، الدر المنصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم - دمشق، (٤ / ٥٥٦)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري، زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ، (٦ / ٤٨٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، (٢ / ١٠٠)، رقم (١٣٨٥)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، (٤ / ٢٠٤٧)، رقم (٢٦٥٨).

(٤) ينظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، ط ٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، (٣ / ٣٧٢)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي - محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ، (١٨ / ٥٩)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ، (١٦ / ١٣٢).

الْمُبْطَلُونَ^(١)؛ فقد ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد بإشهادهم على أنفسهم: الفطرة التي فطرهم الله تعالى عليها^(٢).

٢- الإكثار من الاستشهاد بأدلة القرآن والسنة: لقد أكثر المؤلف في كتابه من الاستشهاد والاستدلال على آرائه بنصوص الكتاب والسنة، ومن ذلك مثلاً استدلاله على دليل (فطرية المعرفة بالله تعالى) بقول الله تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ}^(٣)، وبقول رسول الله -ﷺ-: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلَّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حَنَفَاءَ كُلِّهِمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبِيَهُمْ وَعَجَمِيَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانُ^{(٤)(٥)}». هذا والاستشهاد بالأدلة من الكتاب والسنة هود دأب السلف الصالح في الحوار والمناظرات، وقد حث الله تعالى على ذلك فقال لرسوله -صلى الله عليه وسلم-: {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}^(٦)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوَا مَا تَمَسَّكْتُمَا بِهِمَا: كِتَابَ

(١) سورة الأعراف، الآيات: (١٧٢، ١٧٣).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، (١٣ / ٢٣٨)، معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، (٢ / ٣٩٠)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م، (١٤ / ٢٩)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب - بيروت، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، (٢ / ٧٠٠).

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٣٨).

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (٤ / ٢١٧٩)، رقم (٢٨٦٥).

(٥) ينظر: شموع النهار، (ص ٢٧).

(٦) سورة الأحزاب، الآية: (٢).

صلى الله عليه وسلم-: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ»^(١). ودين الإسلام كلاه مبني في الأساس على التمسك بالكتاب والسنة، والوقوف عليهما استرشادا واتباعًا واحتجاجًا، وهذه الطريقة هي طريقة السلف في الاحتجاج والاستدلال؛ فإنه لم يكن بين يدي السلف مأخذ يأخذون منه عقائدهم غير هذين المأخذين؛ فكانا على غاية الثقة بهما والرغبة عما عداهما؛ ومن ثم كانت عقائدهم هي العقائد التي يثمرها هذان المأخذان يقطعون بما يفيد أن فيه عندهم القطع، ويظنون ما لا يفيد أن فيه إلا الظن، ويقفون عما عدا ذلك، وهذا هو الذي تبينه الأخبار المنقولة عنهم كما تراها في التفاسير السلفية وكتب السنة، وهو الذي نقله أصاغر الصحابة عن أكابرهم، ثم نقله صغار التابعين عن كبارهم، وهكذا نقله عن التابعين أعلم أتباعهم بهم، وأتبعهم لهم، وهلم جرًّا^(٢).

ثانيًا - بيان الأوجه السلبية في الكتاب:

١- الخلط الشديد بين قضيتين مختلفتين، القضية الأولى هي قضية (إثبات وجود إله للكون)، وهو ما قدمنا أن الفكرة الأساسية للمذهب الإلحادي يرفضها أصلاً، وأصحاب هذه الفكرة قد ذكروهم القرآن الكريم وقال فيهم: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} ^(٣)، يقصدون بذلك أنه ليس لهم رب يفنيهم ويهلكهم، ويستوجب منهم العبادة والطاعة^(٤)،

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، (١٣٢٣/٥)، رقم (٣٣٣٨)، والإمام ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، باب معرفة أصول العلم وحقيقتها وما الذي يقع عليه اسم الفقه والعلم مطلقاً، رقم (١٣٨٩)، والطبراني في المعجم الصغير، (١/٢٣٢)، رقم (٣٧٦).

(٢) ينظر: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني - بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، (٢/٣٤٤).

(٣) سورة الحاثية، الآية: (٢٤).

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، (٧٨/٢٢)، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ، (٢/٣٢٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، (٥/١٠٨).

وهذه الطائفة عُرِفَتْ في الفكر الإسلامي باسم (الدهرية)، وهم الذين أنكروا وجود إله مطلقاً، وزعموا أن الأشياء كانت بلا مكوّن، وأن العالم قديم وغير محدث^(١). أما القضية الثانية فهي قضية (إثبات ذات الله تعالى)، أو ما يُسمى في العقيدة الإسلامية باسم (توحيد الربوبية)؛ فقد كل تركيزه وأقام أدلته على قضية الوجود الإلهي نفسه، ومن ذلك قوله: "الواقع يشهد بأن نزعة الإيمان بالله تعالى ونزعة التدين من مكونات النفس البشرية"^(٢). وقد تفرع عن هذا الخلط خطأً منهجي آخر، وهو عدم تفريق المؤلف بين شبهات الإلحاد القديم القائمة على مقدمات عقلية اعتقد أصحابه صحتها، وبين الإلحاد المعاصر القائم منهجه على الوسائل البحثية المعاصرة وما قدمته من أبحاث تجريبية^(٣). وبناء على تعريف ظاهرة الإلحاد قديماً وحديثاً يتبين أن الفكرة التي يقوم عليها هذا التيار أعمق من ذلك - أعني: إثبات ذات الله تعالى على وجه خاص - بكثير، فهي قائمة على إنكار وجود إله للكون من الأساس؛ ولهذا فقد قسم الدارسون لتلك الظاهرة الإلحاد إلى قسمين:

القسم الأول: من يعتقد أصحابه بنفي الله - سبحانه وتعالى - تحديداً.

القسم الثاني: من يعتقد أصحابه بنفي وجود رب مطلقاً، وأصحاب هذا الفكر قديماً كانوا يسمون الدهريين - كما سبقت الإشارة - وحديثاً تعددت مذاهبهم ما بين

(١) ينظر: التوحيد، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية - الإسكندرية، (ص ١٤١)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، (٥ / ٥٣٩)، بيان تلبس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط ١، ١٤٢٦هـ، (١ / ٤٧٧).

(٢) السابق نفسه، (ص ٣١).

(٣) ينظر: المطلب الأول من أول مباحث هذه الدراسة، والذي يدور حول مفهوم الإلحاد المعاصر، والفارق بينه وبين الإلحاد القديم والإلحاد الجديد.

الداروينية والماركسية وغيرها^(١). والواقع أن الإلحاد المعاصر هو من النوع الثاني؛ فإنه يقوم - كما سبقت الإشارة - على فكرة أن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية^(٢).
٢- من أهم ما يؤخذ على المؤلف أنه أهمل (دليل الحس)، وفي ذلك وحده أخطاء هي:

أ - وهو من أهم الدلائل الموصلة للحقائق، وقد أشار الله تعالى إلى ضرورة تحكيمه والاستعانة به في الوصول إلى الخالق - جل وعلا - قال تعالى: {وَكَيْفَ أَهْلَكُنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ نُحْسِنُ مِنْهُمْ مِنْ أَجْدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا} (٣)، وقال تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٤).

ب - أن من ينظر في تيار الإلحاد المعاصر يجد أنه يستدل أول ما يستدل بالمشاهدات العلمية والحقائق التجريبية؛ فتقوم دعوته في إنكار وجود الإله قائمة على الحس في الأساس، لذا كان من أهم وسائل الرد عليه بيان أن الحس الصادق لا يخدم قضيته، بل يهدمها من أساسها^(٥)؛ ذلك أن من الطرق الجيدة في المحاوراة والجدال أن يُنقل المخالف إلى ما ينكره عن طريق ما يعرفه ويعترف به، وقد وردت هذه الطريقة في قول الله تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} (٦)، وقوله تعالى: {وَيَقْبُولُ الْإِنْسَانَ

(١) ينظر: الإلحاد.. وسائله وخطره، (ص ١٢).

(٢) ينظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، (ص ١٥)، نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، دار الطليعة للنشر والتوزيع - بيروت، ط ٢، ١٩٧٠م، (ص ١٨).

(٣) سورة مريم، الآية (٩٨).

(٤) سورة النحل، الآية (٧٨).

(٥) ينظر: الإلحاد.. أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، (ص ٤٠)، ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، عبد الله بن سعيد الشهري، مركز نماء للبحوث والدراسات - بيروت، ط ١، ٢٠١٤م، (ص ١٧)، مدخل إلى التنوير الأوربي، هاشم صالح، دار الطليعة - بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م، (ص ٢٤٨).

(٦) سورة يس، الآيتان: (٧٨، ٧٩).

أَدَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَمَا يَكُنْ شَيْئًا^(١)؛ فقد قرب الله هذه الحقيقة عن طريق إيراد أشباه معروفة لهم^(٢).

ج - أن الباحث في التراث الإسلامي يجد تأكيد المفكرين المسلمين على أهمية دليل الحس ودوره في الوصول للحقائق اليقينية؛ حتى جعلوا سلامة الحس وعمله ضرورة في سلامة القلب والوصول إلى الحقائق القطعية، هذا وأهل السنة يعتمدون كذلك على الأدلة الحسية ويجعلونها من الأدلة الصحيحة المعتمدة المفيدة لليقين عند سلامة وسائلها^(٣).

٣- إن اعتماد المؤلف على الأسلوب السردى في تأليفه يجعل من كتابه بمثابة مجرد تنظير للقضية، ويُفقدته وظيفته الدعوية، كما يضعف من دوره في الرد على الفكرة، وكان الأحرى بالمؤلف أن يتخذ أسلوب الجدل والمناظرة؛ لما لهذا الأسلوب من دور كبير في إثبات الحقائق الإيمانية وإلزام المخالفين^(٤)؛ حتى إن كثيرا من العلماء قد اشترط في الداعية أن يكون واعيا بأصول الجدل والحوار والمناظرة^(٥)، بل إن ماركس قد أقام فكره

(١) سورة مريم، الآيتان: (٦٦، ٦٧).

(٢) ينظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولحاث من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن بن حسن حَبْتَكَة الميداني، دار القلم - دمشق، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، (ص ٢٤٤)، صراع مع الملاحدة حتى العظم، (ص ١٨٨)، سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا... وسيرة، مكتبة وهبة - القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، (ص ٤٦).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، (١٠ / ١٤٠)، النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، (٢ / ١٢٢٢)، هداية القرآن للتي هي أقوم، علي بن نايف الشحود، دار المعمور - ماليزيا، ط ٢، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، (ص ١٨٨)، رَفِيعُ النَّقَابِ عَيْنِ تَنْقِيحِ الشَّهَابِ، أبو عبد الله الحسين بن علي بن طلحة الرجرجي، تحقيق: أحمد بن محمد السراح - عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، (١ / ٦١٦).

(٤) ينظر: أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، حمد بن إبراهيم العثمان، دار ابن حزم - بيروت، ط ٢، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، (ص ١٧٥).

(٥) ينظر: البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز بن فرحان العنزي، دار الإمام مالك - أبو ظبي، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، (ص ١٢٦).

الإلحادي كله على الجدل الذي يمزج بينه وبين المادة، إلا أن الجدل عنده يعني احتواء الشيء على النقيضين مستدلاً بأن الطبيعة قائمة على عنصرين (الطاقة والمادة)، ومن ثم أخذ الجدل، وبني عليه فلسفته المادية الجدلية^(١).

٤ - لم يقدم المؤلف على الاعتراض العلمي على شبهات الملحدين المعاصرين العلمية التي أدت بهم إلى ما ذهبوا إليه، ولكنه توقف عند مناقشة أثرها على الفكر الإلحادي؛ فعلى سبيل المثال عندما ذكر نظرية التطور لداروين بصفتها اعتراضاً على قاعدة (إن الإتقان والإحكام يستدعي وجود فاعل له) قال: "ولست بصدد تقادم مناقشة تفصيلية لنظرية داروين هنا، وما يمكن أن يقال في الاعتراض على بعض تفاصيلها؛ إذ الأمر يستدعي فعلاً بحثاً مستقلاً، يدرك ذلك أي مهتم بهذه القضية، ولكني سأركز على مناقشة الصلة بين هذه النظرية ومبدأ وجود الله تعالى"^(٢).

المطلب الثاني: كتاب (كيف تحاور ملحدًا؟).. عرض ونقد

أولاً - العرض:

١ - لقد ذكر المؤلف (إبراهيم بن فهد العدوان) في مقدمة كتابه أن كتابه هذا كان بحثاً مقدماً للجنة المنظمة لجائزة الأمير سلطان الدولية في حفظ القرآن الكريم، وكان عنوانه (أدب الحوار في القرآن الكريم)، ثم رأى المؤلف أن يغير عنوان بحثه إلى (إبراهيم بن فهد العدوان) العنوان ليكون جذاباً لعين القارئ؛ لكثرة التسميات بـ(أدب الحوار)^(٣)، ولكن لم ينظر إلى تغيير موضوع كتابه الذي يدور حول العنوان القديم؛ فجاء كل كتابه في مناقشة (قضية الحوار) نظرياً دون التعرض لتطبيقها على مذهب الإلحاد أو غيره من المذاهب المنحرفة.

٢ - اعتمد الباحث اعتماداً كلياً على المصادر العربية القديمة وحديثها، مثل كتب التفسير ودواوين الحديث، وكتب الدعوة التي تحدثت عن أدب الحوار ودوره في دعوة الناس

(١) ينظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه - محمد شريف الزبيق، دار الوفاء، ط ٣، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، (ص ١١٧).

(٢) شموع النهار، (ص ٢٢٧).

(٣) ينظر: تعلم كيف تحاور ملحدًا، إبراهيم بن فهد العدوان، (ص ٣).

- إلى الله تعالى، ولم أجده استعان بأي مرجع أجنبي يتحدث عن الإلحاد ولا عن الأسس المبنية عليها هذه الفكرة.
- ٣- حرص المؤلف حرصًا شديدًا على بيان المصطلحات التي يتعرض لها في دراسته - خلاصًا لمصطلح الإلحاد، وسيأتي الحديث عن ذلك - فقد عرف الحوار لغة واصطلاحًا، وبين الفارق بينه وبين مصطلح الجدال الذي يتعلق به غالبًا، وكذلك بين الفارق بينه وبين مفهوم المناظرة.
- ٤- قسم الباحث أنواع الحوار في القرآن الكريم إلى سبعة أنواع بحسب المحاور - بكسر الواو - وهي:
- ٥- حوار الله سبحانه تعالى. وحوار الملائكة. وحوار الأنبياء وحوار المؤمنين مع بعضهم. وحوار الكافرين مع بعضهم. حوار غير البشر. وحوار صاحبي الجنة.
- ٦- ختم المؤلف بحثه بذكر أهم آداب الحوار - من وجهة نظره - فذكر خمسة عشر أدبًا.
- ثانيًا - النقد:

أولاً - بيان الأوجه الإيجابية في الكتاب:

- ١- الالتزام بالهدف من الحوار: لقد صرح المؤلف بالهدف الذي حدده الإسلام الحوار فقال: " أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل"^(١)، وهذا هو الغرض السليم الذي شرع الله له الحوار في الإسلام. والواقع أن الإسلام - بشكل عام - قد أمر المسمين بأن تكون جميع حياتهم الغرض منها إحقاق الحق والفوز برضا الله تعالى، وفي ذلك يقول تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} ^(٢)؛ فقد أمر الله تعالى نبيه في هذا الآية أن يجعل عبادته كلها من صلاة ونسك وغير ذلك من العبادات، وأن يجعل حياته كلها بما فيها من الأعمال، بل أن يجعل الممات أيضا - كل ذلك خالصا لله تعالى متوجها لطاعته، الهدف من ورائه أداء حق الله تعالى والوصول إلى مرضاته^(٣).

(١) تعلم كيف تحاور ملحدًا، (ص٩).

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: (١٦٢، ١٦٣).

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٤١هـ / ١٩٩٨م، (٨/ ٥٣٧)، البحر =

وإذا خصصنا الحوار بالحديث نجد أن الهدف الأساسي الذي شرع الدين الإسلامي وسيلة الحوار في الدعوة إلى الله تعالى هي الوصول بالمحاورين إلى الحق، وإبعادهم عن الباطل، وقد عمد أنبياء الله وورثتهم من العلماء والدعاة إلى حوار الكافرين بغية تعريفهم بدين الله وإنقاذهم به، فالحوار الدعوي أحد أعظم وسائل الدعوة إلى الإسلام، حيث يعتمد المحاور المؤمن إلى تبيان مبادئ الإسلام وفضائله ويوضح لمحاوريه ما أعده الله للمؤمنين به من عظيم الأجر وحسن المثوبة، وما توعد به الكافرين من أليم عذابه وعقابه^(١) وقد صرح القرآن الكريم بهذا الهدف من الحوار حيث قال: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا يَا مَنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} ^(٢)؛ فقد أمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى الإنصاف، والكلمة السوية العادلة، وهي الإقرار بالله تعالى، وأنه خالقهم وخالق السموات والأرض، الذي يجب له التوحيد، وفي ذلك إعلان للهدف من الحوار قبل البدء فيه، وهو الوصول إلى (كلمة سواء) منصفة موافقة للحق^(٣)؛ وقد صرح كثير من السلف بأن هدفهم من أي حوار أو مناظرة يدخلونها كان هو الوصول إلى الحق، وليس الغلبة أو الانتصار للنفس،

= المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني الأنجري الفاسي الصوفي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، مطبعة حسن عباس زكي - القاهرة، ١٤١٩ هـ، (٢/ ١٩٣)، محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ، (٤/ ٥٥٥).

(١) ينظر: الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآدابه، (ص ٢٥)، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجدور - الممارسة - سبل المواجهة)، يوسف العاصي إبراهيم الطويل، صوت القلم العربي - مصر، ط ٢، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م، (٤/ ١٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٦٤).

(٣) ينظر: تفسير القرآن، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، تحقيق: عبد الله بن عبد الحسن التركي، دار المآثر - المدينة النبوية، ط ١، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م، (١/ ٢٣٢)، تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم - غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن - الرياض، السعودية، ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، (١/ ٣٢٩).

وفي ذلك مثلاً يقول الإمام الشافعي -رحمه الله-: "ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ، وما في قلبي من علم إلا ووددت أن يتعلمه كل أحد ولا ينسب إلي" (١).

٢- الالتزام بآداب الحوار: لقد التزم المؤلف في كتابه بآداب الحوار التي أقرها الشرع الشريف، ومن ذلك قوله: "لا بد أن يكون المحاور متسلحاً بسلاح العلم والمعرف؛ حتى لا يقدم على الحوار بدون تأهيل؛ فيخذل الحق من حيث يريد أن ينصره" (٢) هذا والإسلام الذي شرع الحوار كوسيلة من أهم وسائل الدعوة قد شرع له أيضاً آداباً وأخلاقاً يجب التحلي بها قبل البدء في الحوار وأثناءه وبعده، والتي يمثلها أحسن ما يمثلها قول الله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْتَبُوا وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (٣)، وقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (٤)، وفي ذلك تعليم لكيفية الحوار في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون باللطف والرفق؛ ليقرر به عنده الحجة، ويزيل عنه الشبهة من الوجه الذي يحتمله عقله، ويبلغه فهمه، فإن رآه يتعمى في ذلك يوعده ويخوفه بالذي في ذلك من الوعيد (٥)، فالحكمة هي: الحجة والبرهان، أي: ادعهم إلى

(١) ينظر: مناقب الشافعي، البيهقي، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث - القاهرة، ط ١، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م، (١ / ١٧٤)، تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، (٥١ / ٣٨٣)، طبقات الشافعيين، ابن كثير، تحقيق: أحمد عمر هاشم - محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، (ص ٤٥).

(٢) تعلم كيف تحاور ملحدًا، (ص ٢٢).

(٣) سورة العنكبوت، الآية: (٤٦).

(٤) سورة النحل، الآية: (١٢٥).

(٥) ينظر: تأويلات أهل السنة، (٢ / ٣٨٧)، بحر العلوم، (٢ / ٢٩٧)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمال من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، (٦ / ٤١١٥).

دين الله بالحجج والبراهين؛ أي: ألزمهم دين الله بالحجج والبراهين؛ حتى يقرؤا به،
والموعظة الحسنة هي: العبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم
بها في تنزيله^(١).

ثانيا - بيان الأوجه السلبية في الكتاب:

١ - البون الشاسع بين عنوان الكتاب وموضوعه؛ حتى إنه يمكن أن يقال إن كل ما
سَيطر في هذا الكتاب يمكن أن يعد تمهيدا للموضوع الذي يوحى به عنوانه، ولعل
العلة في ذلك هو أن الكاتب إنما غير عنوان كتابه بعد أن انتهى منه ليكون عنوانا
جذابا للقراء، دون النظر إلى تغيير موضوع كتابه الذي يدور حول العنوان القديم.
٢ - قارن الباحث في أول كتابه بين مصطلحي (الحوار والجدل)، مع أنه اعترف بتقسيم
الجدل عن أهل السنة والجماعة إلى قسمين:

- **جدل محمود:** وهو هُوَ عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو
شبهة، ويقصد به تصحيح كلامه، أو هو المُنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم
سواء كان كلامه في نفسه فاسدا أو لا، وهذا هو الذي قال الله تعالى فيه: {وَجَادِثُهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ^(٢).

- **جدل مذموم:** الجدل في تقرير الباطل، وطلب المال والجاه^(٣)، وهذا هو الذي
قال فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَا ضِلَّ قَوْمٌ بَعِيدَ هُبْدَى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا
أُوتُوا الْجَدَلَ» ^(٤).

إلا أنه قد ذكر حكما عاما بعد ذلك لا يتناسب وهذا التقسيم الذي أقره؛ فقال:
"فيلتقي الحوار والجدل في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين، بينما يختلفان في أن

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (١٧ / ٣٢١)، تأويلات أهل السنة، (٦ / ٥٩٤)،
الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور،
دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، (٥ / ٢٦٣)، النكت والعيون،
الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت، (٣ /
٢٢٠).

(٢) سورة النحل: الآية: (١٢٥).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، (٨ / ٢٤٤) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، (١ /
٤٥٥).

(٤) سبق تخريجه.

الجدل يكون في أجواء ساخنة وحال مشدودة، ويقصد بالمجادل الانتصار والغلبة على الطرف الآخر، وقد تأخذ العزة بالإثم فينتصر لباطله ويحامي عنه، ويدافع بكل ما أوتي من قوة، بالحجة تارة، وتارة بسلاطة اللسان، والتطاول برفع الصوت^(١).

١- لم يذكر الباحث بالتعريف أو البيان مصطلحات تشترك وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمصطلح الذي يدور حوله البحث، ومن أهم تلك المصطلحات مصطلح المناظرة، ومع أن مصطلحي الحوار والمناظرة يشتركان كثيراً ويدوران معاً في هذه الأبحاث لكن بينهما فرقاً جوهرياً يكمن في الغرض من كل منهما؛ ذلك أننا قد بينا أن الحوار يختلف عن المحاوراة في قصد كل طرف من الطرفين؛ فإذا كان الغرض الأساسي منهما واحداً، وهو الرغبة في إظهار الحق فإنهما يختلفان في أن قصد كل واحد من الطرفين المتناظرين هو تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، أما الحوار فإن قصد كل طرف من الطرفين المتحاورين هو إثبات الحق، ودفع الشبهة، وردُّ الفاسد من القول والرأي^(٢).

٢- يؤخذ على المؤلف الخلط بين التقسيم وبين التمثيل له؛ ولعل السبب في ذلك أن مفهوم الحوار مضطرب اضطراباً شديداً داخل نفس المؤلف؛ فهو يجعل كل مخاطبة أو كلام حواراً؛ فمن ذلك ذكره جعله قول الله تعالى: { إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحِيراً فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كِأَلْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنَاءٍ حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }^(٣) نموذجاً لحوار الله - سبحانه وتعالى.

(١) تعلم كيف تحاور ملحدًا، (ص ٩).

(٢) ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ب «قم»، ط ١، ١٤١٢ هـ، (ص ٤٨٨)، الكليات، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، (ص ٨٤٩).

(٣) سورة آل عمران، الآيات: (٣٥ - ٣٧).

وهذا الذي ذكر المؤلف غير صحيح على الإطلاق؛ لسببين:

الأول: أن الآية الكريمة ليست في معرض الحوار، وليس فيها حوار من قبل الله - سبحانه وتعالى - لأحد أصلاً، ولا ينطبق عليها تعريف الحوار الذي ذكره المؤلف بقوله: (مناقشة بين اثنين فأكر في مسألة ما)^(١)، والمتكلم هنا في الآية واحد (امرأة عمران) وليس اثنين.

الثاني: أن سياق الآية الكريمة - كما أقر المفسرون - هو سياق الدعاء والمناجاة، وليس سياق الحوار والجدال على الإطلاق؛ ولذا ختمت امرأة عمران كلامها بقولها: (إِنَّكَ أَزِيدُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) أي: السميع لدعائي العليم بنيتي، وما في بطني^(٢). ومن الأمثلة الأخرى على ذلك تمثيله على حوار الله تعالى مع غير البشر بقول الله تعالى في شأن النحل: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} ^(٣)؛ حيث قرر الباحث أن في الآية الكريمة حوار مع النحل من قبل الله - سبحانه وتعالى - فإن قوله تعالى (أوحي) في الآية الكريمة - كما يقرر جمهور المفسرين - بمعنى الإلهام لا بمعنى الحوار^(٤).

٣- إغفال كثير من النقاط المهمة التي تتعلق بموضوع البحث؛ فلم يتطرق المؤلف لذكر أساليب الحوار، وما يناسب كل فريق من المخاورين، وما يجب اعتماده من الأدلة في حقهم؛ ذلك أن أساليب الحوار مع الكافرين والمنكرين يختلف عن الحوار بيمين

(١) ينظر: كيف تحاور ملحدًا، (ص ٧).

(٢) ينظر: بحر العلوم، (١ / ٢٠٨)، تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م، (٢ / ٣٥٧)، لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط ٣، (١ / ٢٣٧).

(٣) سورة النحل، الآيتان: (٦٨، ٦٩).

(٤) ينظر: تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: هند شلي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، (١ / ٧٣)، تفسير التستري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ، (ص ٨٩)، تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩ هـ، (٧ / ٢٢٨٩).

أبناء الدين الواحد في المسائل المختلف بينهما، يختلف عفاً عن الحوار على سبيل
المناسبة.. إلخ^(١).

المطلب الثالث: كتاب (مناظرة الملحدين).. عرض ونقد

أولاً - العرض:

لقد بين المؤلف (الدكتور هيثم طلعت) الفئة التي يتوجه إليها بكتابه هذا فقال: "قد
يظن القارئ أن هذا الكتاب موجه (بالدرجة الأولى) للملاحدة، وأن الغرض منه هو تعديل
مسارهم وردهم عما هم فيه من الضلال؛ لا شك أن الملاحدة من بين المقصودين بهذا
الكتاب، لكنهم يأتون - في رأيي - في ذيل قائمة المخاطبين. أما المقصودون الأولون بالخطاب
فهم مؤمنون.. مؤمنون يحتاجون لهذا الخطاب العلمي الفلسفي، بعض أن انبهر بعضهم
بخطاب الملاحدة الذي يكسونه - زورا - بكسوة العلم والفلسفة، ومؤمنون يريدون أن يرتقوا
بإيمانهم من إيمان الميلاذ إلى يقين العقل والقلب، ومؤمنون لم ينتبهوا إلى قول الحق - عز
وجل -: { سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }^(٢)؛ فظنوا أن العلم والعقل في كفة، وأن الدين في كفة
أخرى"^(٣)، وبين منهجه في كتابه فقال: "أرى أن منهج المناظرة والحوار، الذي يقوم عليه
الكتاب، من أفضل المناهج العقلية في شرح المعلومات وتبسيطها وتوصيلها. ولا شك أن
الحاجة إلى هذا المنهج قد ازدادت كما ازدادت قدرته على التأثير، في ظل الثورة الإعلامية
والتكنولوجية التي نعيشها"^(٤)، ويمكن تحديد أهم المحاور التي تميز بها منهج المؤلف في كتابه في
النقاط الآتية:

(١) ينظر: الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآدابه، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم
الإسلامي، (ص ٢٥)، صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم - دراسة في التفسير
الموضوعي، عاطف إبراهيم المتولي رفاعي، قسم التفسير وعلوم القرآن - كلية العلوم الإسلامية،
جامعة المدينة العالمية، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م، (ص ٩٠)، أسلوب الحوار من خلال سيرة مصعب
بن عمير - رضي الله عنه - وتطبيقاته التربوية، عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، الجامعة
الإسلامية - المدينة المنورة، ١٤٣٤ هـ، (ص ٣٨).

(٢) سورة فصلت، الآية: (٥٣).

(٣) مناظرة الملحدين، هيثم طلعت، ط ١، (ص ٤).

(٤) السابق نفسه، (ص ٥).

أولاً - اعتمد الباحث اعتماداً كبيراً على الأدلة العلمية التي تم اكتشافها من خلال التقدم العلمي، والاكتشافات العلمية الحديثة، والربط بينها وبين الآيات الدالة على وجود الله تعالى في القرآن الكريم، وذلك مثل قوله: "جميع الطلبات التي يحتاجها الكائن الحي توجد مشفرة في نواة الخلية داخل شريط الـ(DNA) في الكائن الحي بنظام التشفير الرباعي (C G T A) هذا التشفير لو قُمنا بنسخه على الورق، فإنه يملأ (١٠٠٠) مجلد بواقع (٥٠٠) صفحة لكل مجلد. حيث يتواجد داخل نواة كل خلية في الإنسان ثلاثة مليارات نيوكليوتيد، أي ثلاثة مليارات حرف بنظام تشفير رباعي (C G T A) كل هذه القاعدة المعلوماتية العملاقة موجودة في مساحة (١) على (١٠٠٠) من المليمتر...، وهذا الشريط ملتف على نفسه (١٠٠) ألف لفة. نظام التشفير الرباعي هذا موجود في أدق الكائنات على وجه الأرض وأكثرها تعقيداً... أيضاً نظام تشفير رباعي (C G T A) ظهر مع أول الكائنات على وجه الأرض -السيانو بكتريا- ويظل نظاماً حكرياً لكل الكائنات بلا استثناء... فيروسات، بكتريا، ثدييات، نباتات، زواحف، أسماك، حشرات، برونات... نظاماً حكرياً عجبياً للغاية واحداً في كل الكائنات يدل على وحدة الخالق.

ثم كيف للصدفة أن تنشئ أنظمة تشفير، وتحدد المطلوب مستقبلاً وبدقة متناهية؟ فالتشفير عملية في غاية الذكاء والإعداد للمستقبل والضبط بعناية، وتشمل عملية التشفير تخزين المعلومات ونقلها وحفظها واستخدامها بعد ذلك عند الحاجة، وليس مجرد التشفير. هذا التشفير يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن ربنا وحده الذي أعطى كل شيء خلقه وصورته وهيئته بمنتهى الدقة والكفاءة قبل أن يخلق ويصور، قال تعالى: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (١) (٢).

ثانياً - عدم الاهتمام بالجانب التنظيري، والتركيز التام على الجانب التطبيقي؛ وذلك لأن الكتاب في مجمله عبارة عن سلسلة مناظرات أُجريت على الشبكة العنكبوتية مع أطلياف شتى من رءوس الملحدون والروبيين واللاأدريين (٣). لذا فالقارئ لهذا الكتاب لا يجد فيه ما تتسم به الأبحاث العلمية الكاملة من وجود جانب نظري يتم فيه تعريف الإلحاد ودراسة تاريخه، وبيان أهم تطورات هذه الفكرة وأهم تياراتها.

(١) سورة طه، الآية: (٥٠).

(٢) مناظرة الملحدون، (ص ١٠).

(٣) ينظر: مناظرة الملحدون، (ص ٥).

ثالثًا - الحرص الشديد على تنوع الأدلة وكثرتها؛ فالكتاب يحرص على ألا يقتصر في مناظرة الملحدون على الأدلة الحسية أو الأدلة العقلية أو الأدلة الفطرية.

رابعًا - اعتمد المؤلف تماما في كتابه على الأسلوب الحوارية؛ وقدم معلوماته وأدلتها من خلال المناظرة، ولعل اختيار هذا الأسلوب الحوارية قد تحكمت فيه مادة الكتاب، فإنها - كما سبقت الإشارة - عبارة عن مناظرات وحوارات تمت مع رموس الملحدون من خلال الشبكة العنكبوتية،

ثانيًا - النقد:

أولا - بيان الأوجه الإيجابية في الكتاب:

من أهم الأوجه الإيجابية في هذا الكتاب:

١- من أجل ما يلاحظ على أسلوب المؤلف الحوارية هو التزامه بآداب الحوار؛ فنجده لا يخاطب مناظره إلا باللقب، ولا يجبهه بفساد حججه، ومن ذلك قوله: "يا رجل أربأ بك وبعقلك عن هذا الكلام الذي لا يقدم أجوبة، وإنما فقط يرحل القضية إلى حيث نكون غير موجودين، أنا سمير سامي سأكفر الآن بالله؛ لأنهم ربما في المستقبل ينتجون لنا كونا جديدا! ترحيل الكفر للمستقبل هذه ليست حجة أمام الله وأمام أي عاقل"^(١).

٢- لقد ساق المؤلف في كتابه هذا - كما سبقت الإشارة - جميع الأدلة التي من شأنها أن تخدم فكرة الإلحاد وتثبت الوجود الإلهي، من أدلة علمية وأدلة عقلية، وأدلة فطرية.

أولا - بيان الأوجه السلبية في الكتاب:

يعتبر كتاب (مناظرة الملحدون) هو أوفق الكتب الثلاثة لمناقشة قضية الإلحاد المعاصر والرد على أنصار هذا المذهب، ومن وجهة نظر الباحث هو كتاب ممتاز وموفق في هذا المضمار، غير أنه يأخذ عليه نقطتين اثنتين من الباب المنهجي فقط وليستا من الباب العلمي، وهذان النقطتان هما:

الأولى - إغفال المؤلف الإحاطة بجميع المصطلحات الواردة في عنوان البحث تعريفيا وبيانا؛ فلم نجد فيه تعريفا للإلحاد، ولا إشارة إلى مفهومه وأنواعه.

الثانية - عدم التفريق بين شبهات الإلحاد القديم القائمة على مقدمات عقلية اعتقد أصحابه صحتها، وبين الإلحاد المعاصر القائم منهجه على الوسائل البحثية المعاصرة وما قدمته من أبحاث تجريبية.

(١) مناظرة الملحدون، (ص ١٧، ١٨).

الخاتمة

تمت بحمد الله وتوفيقه هذه الدراسة والتي سعت إلى الإسهام في التأصيل المنهجي للرد على دعاوى الإلحاد الجديد، ونقد بعض الكتابات المعاصرة في هذا الشأن، ومن أبرز نتائج هذه الدراسة:

- ١- تحديد مفهوم خاص للإلحاد الجديد يميزه عن مظاهر الإلحاد السابقة، وهذا المفهوم هو وصفه بأنه حركة اجتماعية وفكرية لصالح الإلحاد والعلمانية يروج لها مجموعة من الملحدون المعاصرين الذين يدعون إلى وجهة نظر تفيد أنه لا ينبغي التسامح مع الدين بل ينبغي التصدي له وانتقاده التعرض له بحجج عقلانية.
- ٢- هذه الظاهرة تسللت إلى العالم الإسلامي عبر منافذ عديدة منها: مواقع الانترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي، والقنوات الفضائية، والكتب.
- ٣- تميز المنهج الشرعي في الرد على الشبهات، ونقضها، ووضوح هذا المنهج، وإمكانية تطبيقه على كل الدعاوى والأفكار المنحرفة قديماً وحديثاً، ومنها الألحاد الجديد.
- ٤- وجدت جهود علمية كثيرة متباعدة المستوى في نقد هذه الظاهرة وبيان خطورتها، وكان لزاماً محكمة هذه الأعمال العلمية إلى المنهج الشرعي المؤصل في الجدل والمناظرة، حتى تتبين مواضع القوة، ومواطن الضعف؛ وقد تم اختيار بعض النماذج ودرست وحللت مضامينها وتبين ما فيه من نواحي إيجابية وذلك لتعزيزها واستثمارها، وما فيها من سلبيات لتلافيها وتقوية ما يمكن تقويته.

ومن أبرز التوصيات:

- ١- دعوة الحكومات الإسلامية إلى القيام بمسئولياتها بالتصدي لبوادر الإلحاد، والوقوف أمام ذرائعه، ووسائل استنباته في هذه الأمة، ومنع قنواته وطرائقه ورموزه من التمكن من وسائل التوجيه والمخاطبة للأجيال؛ حماية للدين والمقدسات؛ وحفظاً لاستقرار المجتمعات المسلمة.
- ٢- مطالبة وسائل الإعلام، والمنتديات والمواقع الفكرية والثقافية، بتذكر مسؤولياتها الدينية، والخلقية وإن تحرص على منع كل ما يُسبب الإلحاد أو التشكيك أو يشيع الاستخفاف بالمقدسات في المجتمعات الإسلامية، وحثها على تحمل مسؤولياتها في ذلك.



قائمة بأهم المصادر والمراجع

- ١- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة - بيروت.
- ٢- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشه - محمد شريف الزبيق، دار الوفاء، ط٣، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٣- الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين - مصر، (د.ت).
- ٤- الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، محمد البهي، مكتبة وهبة - القاهرة، ط١، ١٤١هـ / ١٩٨١م.
- ٥- الأصالة والمعاصرة في الفكر الإسلامي، محمد رأفت سعيد، دار المنهاج - القاهرة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٦- أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٩، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٧- الإلحاد (وسائله - خطره - سبل مواجهته)، صلاح بن عبد العزيز بن عثمان سني، دار اللؤلؤة - بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- ٨- الإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، دار الانتشار العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ٩- الإلحاد للمبتدئين، هشام عزمي، دار الكتاب للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٥م.
- ١٠- الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمن عبد الخالق، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض، ١٤٠٤هـ.
- ١١- بحر العلوم تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ١٢- بناء المجتمع الإسلامي، نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة - القاهرة، ط٣، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ١٣- البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار، فوزان بن سابق بن فوزان، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، (د. ط).
- ١٤- تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، تحقيق: عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- ١٥- تقويم الأدلة في أصول الفقه، أبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي الحنفي، تحقيق: خليل محيي الدين الميس، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

- ١٦- التنصير - تعريفه أهدافه وسائله حسرات المنصرين، عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، دار الكتاب والسنة، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ١٧- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٦هـ.
- ١٨- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- ١٩- جواب في الإيمان ونواقضه، عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار التدمرية، ط ١، ١٤٧٣هـ / ٢٠١٦هـ.
- ٢٠- الحدود في الأصول، أبو الوليد الباجي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٢١- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولحاث من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني، دار القلم - دمشق، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ٢٢- حُكْمُ الجَاهِلِيَّةِ، أحمد شاكر، مكتبة السنة - القاهرة، (د. ت).
- ٢٣- رد المختار على الدر المختار، ابن عابدين، دار الفكر - بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ٢٤- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، (١ / ٣١٥)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني - إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- ٢٥- سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا... وسيرة، مكتبة وهبة - القاهرة، ط ١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ٢٦- شرح مختصر الروضة، الطوفي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٢٧- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري البمني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - يوسف محمد عبد الله، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ٢٨- شموع النهار، عبد الله العجيري، مكتبة مؤمن قريش - الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.
- ٢٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- ٣٠- صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن حسن حَبَنَكَة، دار القلم - دمشق، ط ٥، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ٣١- الضروري في أصول الفقه، ابن رشد الحفيد، تحقيق: جمال الدين العلوي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٩٩٤م.
- ٣٢- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ٣، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- ٣٣- كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٣٤- الكليات، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، (د. ت).
- ٣٥- اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- ٣٦- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط ٣.
- ٣٧- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ٣٨- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٣٩- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية - جدة، ط ١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٤٠- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق - القاهرة، ط ١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٤١- مصطلحات في كتب العقائد، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، درا بن خزيمه، ط ١.
- ٤٢- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين بن جيسن الجيزاني، دار ابن الجوزي، ط ٥، ١٤٢٧هـ.
- ٤٣- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٩٨م.
- ٤٤- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

- ٤٥- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ٤٦- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- ٤٧- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤٢٠هـ.
- ٤٨- ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبدالله العجيري.
- ٤٩- النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، حسن محمد حسن الأسمرى، مركز التأصيل للدراسات والبحوث - جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ٥٠- النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية.
- ٥١- الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب جَمُوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- ٥٢- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدى، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض - أحمد محمد صيرة - أحمد عبد الغني الجمل - عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٩٧١	المقدمة
٩٧٣	المبحث الأول: أصول منهج أهل السنة والجماعة في الجدل والمناظرة والرد على الملحدين
٩٧٣	المطلب الأول: مفاهيم (الجدل - المناظرة - الإلحاد) لغةً واصطلاحًا
٩٧٥	المطلب الثاني: مشروعية الجدل والمناظرة عند أهل السنة والجماعة
٩٧٧	المطلب الثالث: استدلال أهل السنة والجماعة في الجدل والمناظرة
٩٧٩	المطلب الرابع: قواعد وآداب الجدل والمناظرة عند أهل السنة والجماعة
٩٨٢	المطلب الخامس: منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الملحدين
٩٨٤	المبحث الثاني: الإلحاد المعاصر مفهومه - تاريخه - سماته
٩٨٤	المطلب الأول: مفهوم الإلحاد المعاصر
٩٨٦	المطلب الثاني: تاريخ الإلحاد المعاصر
٩٩٢	المطلب الثالث: سمات الإلحاد المعاصر
٩٩٦	المبحث الثالث: معالم النقد المعاصر تطبيقات من خلال كتب "شموع النهار" و"كيف تحاور ملحدًا؟"، "مناظرة الملحدين"
٩٩٦	المطلب الأول: كتاب (شموع النهار).. عرض ونقد
١٠٠٥	المطلب الثاني: كتاب (كيف تحاور ملحدًا؟).. عرض ونقد
١٠١٢	المطلب الثالث: كتاب (مناظرة الملحدين).. عرض ونقد
١٠١٥	الخاتمة
١٠١٦	قائمة بأهم المصادر والمراجع
١٠٢٠	فهرس الموضوعات

